جمهورية تركيا
جامعة جانكري كَراتكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية
قسم التفسير

مباحث علوم القرآن والتفسير عند ابن خلدون/ جمعاً ودراسة

عمر زيدان خلف الفهداوي

أطروحة الماجستير

المشرفة
حنان عبد الحميد عكو

جانكري - 2022

جمهورية تركيا
جامعة جانكري كَرا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

مباحث علوم القرآن والتفسير عند ابن خلدون/ جمعاً ودراسة

عمر زيدان خلف الفهداوي

أطروحة الماجستير

جانكري – 2022

المحتويات

المحتويات IV
بيان أخلاقيات البحث العلمي VI
ÇANKIRI KARATEKİN ÜNIVERSITESI VII
الرموز المستخدمة: VIII
المقدمة VIII
الملخص XII
ÖZET XIII
ABSTRACT XIV
1.تمهيد 1
1.1.أولاً: اسمه ومولده ونسبه: 1
2.1.ثانياً: حياة العلامة ابن خلدون العلمية والعملية: 4
3.1.ثالثاً: سفره في طلب العلم والعمل: 6
4.1.رابعاً: تـفرغ ابـن خلدون للتـألـيف: 9
5.1.خامساً: شيوخ ابن خلدون: 10
6.1.سادساً: تلاميذه: 13
7.1.سابعاً: مؤلفاته وآثاره الفكرية المطبوع منها والمخطوط: 15
8.1.ثامنًا: آراء العلماء في ابن خلدون: 17
9.1.تاسعاً: وفاته: 20
2. الفصل الأول: مصادر مؤلفات ابن خلدون 21
1.2. المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن. 21
2.2.المبحث الثاني: مصادره من كتب اللغة والنحو 33
3.2.المبحث الثالث: مصادره من كتب الفقه 45
4.2.المبحث الرابع: مصادره من كتب الحديث 51
3.الفصل الثاني: جهود ابن خلدون في التفسير بالمأثور 57
1.3.المبحث الأول: تعريف التفسير بالمأثور وبيان منزلته وأنواعه 57
2.3.المبحث الثاني: استشهاد ابن خلدون بالآيات القرآنية والأحاديث وأقوال الصحابة 61

1.2.3. المطلب الأوّل: استشهاده بالآيات القرآنية.....61
2.2.3. المطلب الثاني: استشهاده بالسنة المطهرة.....69
3.2.3. المطلب الثالث: استشهاده بأقوال الصحابة والتابعين.....72
4.الفصل الثالث: جهود ابن خلدون في التفسير بالرأي.....76
1.4.المبحث الأول: تعريف التفسير بالرأي، وشروطه.....76
2.4. المبحث الثاني: جهود ابن خلدون في تفسر الآيات القرآنية بالتأويل: 78
5.الفصل الرابع: جهود ابن خلدون في علوم القرآن.....89
1.5.المبحث الأول: موقف ابن خلدون من الأحرف السبعة.....89
2.5. المبحث الثاني: موقفه من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن.....90
3.5.المبحث الثالث: اهتمام ابن خلدون ببيان الناسخ والمنسوخ، وموقفه من النسخ في القرآن.....93
4.5. المبحث الرابع: موقفه من المحكم والمتشابه.....97
5.5. المبحث الخامس: موقفه من أسباب النزول.....100
الخاتمة.....106
المصادر والمراجع.....108

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأني قد التزمت بعناية، بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة: (مباحث علوم القرآن والتفسير عند ابن خلدون/ جمعاً ودراسة) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمت بالإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر والمراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.

2022\03\18

عمر زيدان خلف الفهداوي

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNIVERSITESI
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Omer zaidan KHALAF tarafından hazırlanan (İbn Haldun'un Kur'an İlimlerine ve Tefsirine Bakış Açısının Analizi) başlıklı bu çalışma 18/03/2022 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda oybirliği başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı ،Adı ve Soyadı)

Danışman: Dr. Öğr. Üyesi, Hanan AKKO İmza ……..……....
Üye: Dr. Öğr. Üyesi, Mehmet Ali AYTEKIN İmza ……..……....
Üye: Dr. Öğr. Üyesi, Mhanna AL RASHID İmza ……..……....

ONAY

Bu tez ،Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun …./…/ 2022 tarih ve …… sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

الرموز المستخدمة:

ط	**الـطـبعـة**
ه	**الـتـاريـخ الـهـجري**
م	**الـتـاريـخ الـمـيـلادي**
ص	**الصحيفة**
ت	**تـاريـخ الـوفـاة**
"..."	**مابينهام منقولٌ نصاً**

المقدمة

اَلْحَمدُ للهِ اَلَّذِي امتنَّ على عِباده بنِعْمَة القرآن, وجَعَل مافيهِ مَنْهَجًا لحياتهم, وسَبِلاً إلى الجِنان, أحمده على تواتر إنعامه حمدًا كثيرًا, وأتوكّل عليه مفوّضاً أمري إليه ومستجيراً به, وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ, لا شَرِكَ لَهُ, تعظيماً لشأنه، شَهَادَةً يَغْدُو قَلْب قَائِلُها مُطْمَئِنًا مُسْتَنِرًا, وأَشْهَدُ أنَّ مُحمّدًا عبدُه ورَسولُه, آخِرُ

الْمُرْسَلِينَ, الّذي بلَّغ القرآن الكريم كَمَا أوحي إليه, وأَبانَ الطريق بجَوَامِعِ الْكَلِم الَّذي أوتيه.

أَمّا بَعْدُ، فإنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الخالد, والنور الذي نهتدي به في ظلمات الدنيا والذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه, وليس قبله كتاب يكذبه ولابعده, لذلك حثّنا سبحانه وتعالى على تدبر كتابه وفهم معانيه, في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1] وورد عن عثمان بن عفان, رضي الله عنه, عن النبي ﷺ قال:(**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)[2].

وإن تفسير القرآن ليبيّن عظمة القرآن وإعجازه, باتحاد موضوعاته وإن افترقت مواضع آياته مما يدعو إلى التدبر والتفكر, لإظهار حكمة التنزيل, لإصلاح النفوس، وتصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاق لهداية الفرد لما فيه خير وصَلاح المُجتمَع, والتنبيه إلى المَساوِئُ لتُجتَنب، وإلى الفَضَائِل لتُقبِل عليها القلوب الطَيَّبة، والنفوسُ الزكية, لنيل سُرُور الدنيا والآخرة.

ولقد كان العلامة ابن خلدون قد أولى موضوع التفسير وعلوم القرآن عنايةً خاصةً في مقدمته الشهيرة ولذا أردتُ تخصيصَ جهوده في هذا الميدان ببحثٍ مستقل وشامل، وجعلتُه تحت عنوان: (مباحث علوم القرآن والتفسير عند ابن خلدون/ جمعاً ودراسة).

وفي الختام نسأل الله أن يعيننا ويوفقنا ويفتح علينا لإنجاز ثمرةٍ لعلها تكون مباركةً فيستفيد منها من قرأها واطلع عليها، فترجع بثمارها علينا، فنصاب بدعوةٍ تكون هي شافعةً لنا في آخرتنا.

أهمية الموضوع :

1- بيان الجهود التي بذلها ابن خلدون في التفسير وعلوم القرآن.

2- إن لموضوع التفسير أهمية عظيمة خدمةً لكتاب الله. وفضل كلام الله تعالى على كلام البشر كفضل الله على سائر خلقه.

أسباب اختيار الموضوع:

---

(1)سورة محمد: الاية 24.

(2)إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه ابن ماجه (211) ، والبزار (396) ، والنسائي في الكبرى (8073) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2205).

كـان لاخـتيـار هـذا الـموضـوع والبحث فيه أسبـاب عدة:

1. تقدير الله عز وجل وهدايته للوقوف عليه، وتيسيره للبحث فيه.
2. التشرف بخدمة كتاب الله تعالى من خلال البحث في هذا الموضوع.
3. رغبتي ومحبتي لمواصلة البحث والدراسة والتنقيب في الكتب والمراجع في التفسير وعلوم القرآن.
4. رغبتي الشديدة في استخلاص مباحث علوم القرآن في غير الكتب التي اختصت بها.

منهج البحث:

اتبعت في كتابة الرسالة المنهج الدلالي.

حدود البحث:

يتناول موضوع الرسالة مباحث علوم القرآن الكريم والتفسير عند ابن خلدون في الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين.

الدراسات السابقة:

- رسالة ماجستير: (مصادر ابن خلدون في المقدمة علوم القرآن والحديث أنموذجاً), للطالبتين (الواد صليحة)و(مختاري جهيدة)، بإشراف(د.محمد موسوني) جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان كلية- الآداب واللغات/ قسم اللغة والأدب العربي، الجمهورية الجزائرية، 2014, بينت هذه الدراسة حياة ابن خلدون واهتمامه بعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف من خلال استنباط آرائه من كتاب المقدمة فيما يخص علوم القرآن والحديث النبوي.
- رسالة ماجستير: (ابن خلدون ناقداً) للطالب بندر رفيد العتري, بإشراف (أ.م.د.سعود محمود عبد الجبار), جامعة الشرق الأوسط- كلية الآداب والعلوم/ قسم اللغة العربية وآدابها 2012/2011, هدفت هذه الرسالة إلى بيان أثر ابن خلدون في ميدان النقد الأدبي في عصره وإبراز جوانب التجديد لديه.
- بحث نشر: (إسهامات ابن خلدون في رفد علم الاجتماع والأنثربولوجيا بمفاهيم لغوية) إعداد (أ.رائد محمد طه), جامعة القدس المفتوحة, 2012, وهذا البحث اهتم بدراسة المفاهيم التي تتعلق بعلم الاجتماع، كون ابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم الاجتماع في العالم أجمع.

هيكل البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول:

1. تمهيد: ويتضمن ترجمة لابن خلدون.

2. الفصل الأول: مصادر مؤلفات ابن خلدون

1.2. المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن.

2.2. المبحث الثاني: مصادره من كتب اللغة والنحو.

3.2. المبحث الثالث: مصادره من كتب الفقه.

4.2. المبحث الرابع: مصادره من كتب الحديث.

3. الفصل الثاني: جهود ابن خلدون في التفسير بالمأثور

1.2. المبحث الأول: تعريف التفسير بالمأثور وبيان منزلته وأنواعه.

3.1. المبحث الثاني: استشهاد ابن خلدون بالآيات القرآنية والأحاديث وأقوال الصحابة.

4. الفصل الثالث: جهود ابن خلدون في التفسير بالرأي

1.4. المبحث الأول: تعريف التفسير بالرأي، وشروطه.

2.4. المبحث الثاني: جهود ابن خلدون في تفسير الآيات القرآنية بالتأويل.

5. الفصل الرابع: جهود ابن خلدون في علوم القرآن

1.5. المبحث الأول: موقف ابن خلدون من الأحرف السبعة.

2.5. المبحث الثاني: موقفه من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن.

3.5. المبحث الثالث: اهتمام ابن خلدون ببيان الناسخ والمنسوخ، وموقفه من النسخ في القرآن.

4.5. المبحث الرابع: موقفه من المحكم والمتشابه.

5.5. المبحث الخامس: موقفه من أسباب النزول.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات التي يقترحها البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

الملخص

عنوان الأطروحة: مباحث علوم القرآن والتفسير عند ابن خلدون/ جمعاً ودراسة
مُعد الأطروحة : عمر زيدان خلف الفهداوي
المشرف : د. حنان عبد الحميد عكو
الفرع/ القسم : معهد العلوم الاجتماعية / العلوم الإسلامية الأساسية
نوع الأطروحة : ماجستير
تاريخ الموافقة: 18-03-2022

ابن خلدون شخصية بارزة في الفكر الإسلامي بشكل خاص والفكر الإنساني بشكل عام، أذهل الشرق والغرب بعبقريته، فدار النقاش حول أفكاره، فشغل العقول والآراء، وقد هدفت هذه الدراسةُ معرفة مصادره من علوم القرآن والتفسير والحديث واللغة من خلال المقدمة، وتوسّلَت المنهجَ الدلالي للكشف عن تلك المصادر، واقتضى ذلك أن يكون البحث في أربعة فصول، بدأ بالتمهيد وفيه تمّ التعريف بابن خلدون، نشأته ورحلاته العلمية، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته، وكان الفصل الأول بعنوان: مصادر مؤلفات ابن خلدون، احتوى على أربعة مباحث، تحدثت جميعها عن مصادره من كتب التفسير والقرآن، ومن كتب اللغة والنحو والبيان والشعر والأدب، ومصادره من كتب الفقه والحديث. أمّا الفصل الثاني فقد كان بعنوان: جهود ابن خلدون في التفسير بالمأثور، بدأ، في المبحث الأول، في التعريف بالتفسير بالمأثور بيان أنواعه، وعُرِض في المبحث الثاني نماذج لاستشهاد ابن خلدون لنظرياته بالآيات القرآنية والأحاديث وأقوال الصحابة. وكان الفصل الثالث عن جهود ابن خلدون في التفسير بالرأي، حيث شمل المبحث الأول تعريف التفسير بالرأي، وتناول المبحث الثاني جهود ابن خلدون في تفسير الآيات القرآنية الكريمة بالتأويل، وحمل الفصل الرابع عنوان: جهود ابن خلدون في علوم القرآن، تناول هذا الفصل خمسة مباحث، المبحث الأول عن موقف ابن خلدون من الأحرف السبعة، وفي المبحث الثاني عن موقفه من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، وفي الثالث عن اهتمامه ببيان الناسخ والمنسوخ وموقفه من النسخ، وفي المبحث الرابع عن موقفه من المحكم والمتشابه، وكذلك في المبحث الخامس عن موقفه من أسباب النزول، وقد توصل البحث لعدد من النتائج كان أهمها: كان للعديد من شيوخ ابن خلدون، مؤلفات، اتضح للباحث ذلك من تتبعه لعدد منهم، فقد كان لشيخه الزواوي مؤلفات في اللغة والفقه، كما كان لشيخه البلفيقي مؤلفات وشعر جيد، ومن النتائج التي توصلَ إليها البحث أن ابن خلدون لا يؤيد وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، وقد تأكّد ذلك من خلال حديثه عدّة مراتٍ عن أن القرآن جاء بلغة العرب وأساليبهم، وكان ثَمة عدد من التوصيات، ثم خاتمةٌ احتوت على النتائج والتوصيات والفهارس.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، علوم القرآن، التفسير، مقدّمة ابن خلدون، الناسخ والمنسوخ.

ÖZET

Tez Başlığı : İbn Haldun'un Kur'an İlimlerine ve Tefsirine Bakış Açısının Analizi.
Tez Yazarı : Omer Zaidan Khalaf
Danışman : Doç.Dr. HANAN AKKO
Şube/Bölüm: Temel İslami İlimleri
Tez Türü : Yüksek Lisans
Onay Tarihi: 18-03-2022

İbn Haldun, özellikle İslam düşüncesinde ve genel olarak insan düşüncesinde seçkin bir şahsiyettir, Doğu ve Batı'yı dehasıyla kamaştırmıştır, fikirleri ve zihinleri işgal eden fikirleri etrafında dönüyormüştür. Bu çalışmanın amacı, giriş bölümü aracılığıyla Kur'an, hadis ve dil ilimlerinden kaynaklarını ortaya çıkarmaktır. Bu kaynakları keşfetmek amacıyla tümevarımsal-analitik yöntemi kullanılmıştır. Bu da araştırmanın dört bölümden uluşmaktadır. Araştırma, İbn Haldun'un tanıtıldığı, yetiştirilişi, ilmî yolculukları, şeyhleri, talebeleri ve yazılarının tanıtıldığı giriş bölümüyle başlamıştır. Birinci bölüm: İbn Haldun'un yazılarının kaynakları başlığını içermektedir. Her biri onun tefsir kitaplarından ve Kur'an'dan kaynaklarından bahseden dört bölümden oluşmaktadır. Araştırma, İbn Haldun'un tanıtıldığı önsöz, yetişmesi, ilmî yolculukları, şeyhleri ve talebeleri ve yazılarıyla başlamıştır. Dil, gramer, belagat, şiir ve edebiyat kitapları arasında ve kaynakları arasında fıkıh ve hadis kitapları da bulunmaktadır.

İkinci bölüm, İbn Haldun'un özdeyişle tefsir çabaları başlığını taşımaktadir. İkinci başlıkta ise İbn Haldun'un teorileri için şehadetinin Kuran ayetleri, hadisler ve sahabenin sözlerinden örnekler sunulmuştur. Üçüncü bölüm, görüşe göre tefsir tanımına ve ardından İbn Haldun'a göre tefsir örneklerine yer verilmek üzere İbn Haldun'un kanaate göre tefsir çabalarını konu edinmiştir. Dördüncü bölüm, İbn Haldun'un Kur'an İlimlerinde Çabaları başlığını sunulmuştur. Bu bölüm, onun yedi harf üzerindeki konumu, Kur'an'da yabancı kelimelerin varlığı konusundaki konumu, nesh ve nesh ifadesine olan ilgisi ve nesh konusundaki tutumu hakkında konuştuğum beş talebi ele alınmıştır. Hakem ve benzerleri üzerindeki konumu ve iniş sebepleri konusundaki bahesedilmiştir.

Elde edilen sonuçların en önemlileri şunlardı: İbn Haldun'un Şeyhlerinin veya şeyhlerinin şeyhlerinin birçoğunun kitapları varmıştır. Bir kaçını takip ederek şeyhi Zewawi'nin dil ve fıkıh üzerine kitapları ve Şeyhi Balfiki'nin güzel yazıları ve şiirleri olduğu gibi vardır. Ulaştığım sonuçlar arasında İbn Haldun'un Kuran'da yabancı kelimelerin varlığını desteklemediği de vardır. Bu, Kur'an'ın Arapların dili ve usulleriyle geldiği, onun konuşmasıyla birkaç kez doğrulanmıştır.

Anahtar Kelimeler: İbn Haldun, Kur'an ilimleri, tefsir, İbn Haldun'un tanıtımı, nasih ve mensuh.

ABSTRACT

Thesis title : Ibn Khaldun's Qur'an science and interpretation investigations/ collection and study

Thesis author: Omer Zaidan Khalaf

Supervisor : Doç.Dr. Hanan Akko

Department : Basic Islamic Sciences

Thesis type : Master's

Approval date: 18-03-2022

Ibn Khaldun is an outstanding figure in Islamic thought in particular and human thought in general. He dazzled the East and West with his genius, and the discussion revolved around his ideas, occupying opinions and minds, and this study aimed to know his sources from the sciences of the Qur'an, hadith and language through the introduction, and I used the inductive-analytical method to reveal About those sources, and this required me that the research should be in four chapters, the research began with the preface, in which Ibn Khaldun was introduced, his upbringing, his scientific journeys, his sheikhs, his students, and his writings. The books of interpretation and the Qur'an, and the books of language, grammar, eloquence, poetry and literature, and its sources from the books of jurisprudence and hadith, Where in the first section I knew the interpretation of the aphorism and enumerated its types, and presented in the second section examples of Ibn Khaldun's martyrdom for his theories in the Qur'anic verses, hadiths and sayings of the Companions. Chapter four title: Ibn Khaldun's efforts in the sciences of the Qur'an. This chapter dealt with five demands in which I spoke about his position on the seven letters, his position on the presence of foreign words in the Qur'an, his interest in the statement of the abrogated and abrogated, his position on abrogation, his position on the arbitrator and the similar, as well as his position on the reasons for revelation. For a number of results, the most important of them were: Many of Ibn Khaldun's sheikhs, or Sheikhs of his sheikhs had books, and this became clear to me from following a number of them. His Sheikh Al-Zawawi had books in language and jurisprudence, and his Sheikh Al-Balfiqi had good books and poetry. Khaldoun does not support the presence of foreign words in the Qur'an, This was confirmed by his speech several times that the Qur'an came in the language and methods of the Arabs.

Keywords: Ibn Khaldun, the sciences of the Qur'an, interpretation, the introduction of Ibn Khaldun, the transcriber and the abrogated.

1.تمهيد

1.1.أولاً: اسمه ومولده ونسبه:

اسمه

هو عبد الرحمن ابن محمد نجل محمد نجل محمد نجل الحسن ولد محمد ابن جابر ولد إبراهيم نجل عبد الرحمن ابن خَلدون[1]،الحضرمي[2] الإشبيلي النسب[3] ولد في تونس، ونسبه من حضرموت إلا أن أجداده قد هاجروا إلى مدن المغرب أيام الفتح الإسلامي للأندلس[4].

وذكر بعض المؤرخين أن سلفه ينتسب إلى وائل بن حجر[5] الصحابي المعروف[1], بينما شكّك الباقون في صحة هذا القول. والقصة معروفة, عند قدوم وائل على الرسول ﷺ ذكرت في العديد من كتب السيرة[2].

---

(1) الموسوعة *الموجزة في التاريخ الإسلامي*، نقلًا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي, 740/10, ابن الخطيب: محمد بن عبد الله السّلماني الأندلسي، المشهور بلسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ) *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار* (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية-1423ه) 190/1، ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*, 3/ 497 – 516, السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: 902هـ) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة, 1412ه-1992م), 145/4, رقم 378، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، المحقق: محمد إبراهيم (مصر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي وشركاؤه, ط:1، 1387هـ- 1967م) 462/1، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (ت:1089هـ) *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط (دمشق-بيروت: دار ابن كثير, ط:1، 1406هـ-1986م) 114/9, خير الدين بن محمود الزركلي (ت:1396هـ) *الأعلام* (دار العلم للملايين، ط:15- أيار-مايو 2002م) 330/3، عمر بن رضا بن عبد الغني كحالة (ت: 1408هـ) *معجم المؤلفين* (بيروت: دار إحياء التراث العربي, 1376ه-1957م) 188/5-191، عبد الرحمن بن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغربًا* (دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع, 1979م) ص3، الوفيات والأحداث، 169/1.

(2) ينظر: ابن الأحمر, إسماعيل بن يوسف, الأنصاري، المشهور بابن الأحمر (ت: 807هـ) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن بتحقيق: محمد الداية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1396هـ- 1976م) 297/1، أبو الحسن علي عبد الله, المالقي الأندلسي (ت: 792هـ) تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا, المحقق, لجنة إحياء التراث العربي (لبنان: دار الآفاق الجديدة, ط:5، 1403هـ - 1983م) 162/1.

(3) يوسف بن إليان سركيس (ت:1351هـ) *معجم المطبوعات العربية والمعربة* (مصر: مطبعة سركيس, 1346هـ- 1928م) 95/1، مصطفى عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: 1067هـ) *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* (بغداد: مكتبة المثنى, 1941م), 1124/2, وصورتها العديد من الدور اللبنانية, بنفس الترقيم لصفحاتها، مثل: دار العلوم الحديثة ودار الكتب العلمية, ودار إحياء التراث العربي.

(4) ينظر: جاسم سلطان، *أداة فلسفة التاريخ*، 12/1.

(5) وائل بن حجر بن ربيعة بن يعمر الحضرمي, من قبائل حضرموت، وكان والده من ملوكهم حيث وفد ابن حجر على رسول الله ﷺ وقال: جئت راغبًا في الإسلام والهجرة، فنودي: الصلاة جامعة, سروراً بقدومه, نهاية الأرب في فنون الأدب، 112/18، وفي روايةً: فأكرمه ﷺ وبسط رداءه له واجلسه عليه، وقال: (اللهم

كنيته: أبو زيد[3]. ولقبه: ولي الدين, لُقِّب به بعد توليه القضاء بمصر[4]. وشهرته: ابن خلدون.

مولده:

وُلد ابن خلدون يوم الأربعاء غُرّة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة (732هـ) الموافق (1332م), بمدينة تونس ببلاد المغرب، وهذا ماذكره ابن خلدون في التعريف بنفسه[5]، وهذا ما اتفق عليه غالبية الذين أرّخوا لسيرته، فهذا التاريخ ذكره السخاوي في الضوء اللامع[6] وذكره يوسف بن تغري بردي في المنهل الصافي[7] مع اختلاف في التاريخ الميلادي، إذ ذكر السخاوي أن العام (732هـ) الهجري يوافق العام (1331م) بالتاريخ الميلادي وكذلك أورده عبد الحي الحَنبليّ في شذرات الذهب[8], وغيرهم من المؤرخين.

نسبه:

يرجع نسبه إلى جده خالد بن عثمان المذكور في نبهاء ثُوار الأندلس[9], وهو أول من دخل بلاد الأندلس من هذه العائلة. ولاحقاً عرف واشتهر باسم خلدون, بحسب طريقة أهل المغرب والأندلس, كما أضافوا إلى الأعلام, واواً, ونوناً؛ وذلك للدلالة على تبجيل حامل هذا الاسم, مثل: زيدون, وحمدون, وخلدون,

---

بارك في وائل وولده وولد ولده) وقصته معه معروفة، حيث روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه ابناه عبد الجبار وعلقمة. له ذكر في الأدب. زين الدين عبد الرحيم العراقي، *طرح التثريب في شرح التقريب*، 275/1؛ ابن حبان، *الثقات*، 425/3؛ عز الدين ابن الأثير، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، 405/5- 659/4؛ الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، 558/1؛ العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة* 628/3، العسقلاني، *تهذيب التهذيب*، 108/11؛ والزركلي، *الأعلام* 9/ 117.

(1) ينظر: أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: 384هـ), *معجم الشعراء*, صححه وعلق عليه, د. ف, كرنكو (بيروت: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية, ط:2، 1402هـ - 1982م)، 139/1، الزركلي، الأعلام، 330/3.

(2) ينظر: سليمان بن أحمد الطبراني، *المعجم الكبير*, تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، 1404ه– 1983م)، 19/22، صلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ), *الوافي بالوفيات*، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيرت: دار إحياء التراث, 1420هـ- 2000م)، 250/27، ابن الخطيب (ت:776هـ), *الإحاطة في أخبار غرناطة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1, 1434ه)، 377/3.

(3) ابن العماد, *شذرات الذهب*، 71/1.

(4) يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي (ت:874هـ), *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، تحقيق, محمد أمين، وتقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 205/7- 210.

(5) ينظر: *التعريف بابن خلدون*، 589/7.

(6) ينظر: السخاوي، *الضوء اللامع*، 145/4.

(7) ينظر: يوسف بن تغري بردي، *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، 205/7.

(8) ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 76/7.

(9) ينظر: ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 377/3.

يقول ابن خلدون في تعريفه: "وأصل هذا البيت من إشبيلية, انتقل سَلَفُنا عند الجلاء إلى تونس، في أواسط المئة السابعة"[1].

ويكفينا العلامة ابن خلدون نفسه, البحثَ عن أجداده, إذ يذكر أن أسلافه استوطنوا (إشبيلية), وكان لهم فيها شهرة وذكر وتألق وتعّين وامتياز في المناصب الرفيعة، وقت وقوع الحادثة هناك أو قبل ذلك, واستقروا في تونس. منهم: محمد نجل الحسن، وتكاثروا على سراوة، وتهذيب ورسوم حسنة، وتطرق جدّ المترجم له إلى ملوكها في الرياسة[2]، وكل ذلك مهد الطريق لهذه الروح العظيمة لتقوم بدورها في العالم الذي ظهرت فيه, قال ابن خلدون: "لا أَذكر من نسَبي إلى خَلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب على الظن أنهم أكثر وأنه سقط مثلهم عدداً؛ لأنَّ خَلدون هذا هو الداخل إلى الأَندلس، فإن كان أَولَ الفتح فالمدَّة لهذا العَهْد سبعُمائة سنة، فيكونون زُهاءَ العشرين؛ ثلاثةٌ لكل مائة"[3].

ولقد استفاد بعض العلماء من هذه القاعدة التي عمل بها ابن خلدون في معرفة تسلسل النسب، يقول البرهان البقاعي[4] في معجمه: سمعت ابن حجر ينقل قاعدة عن ابن خلدون، وهي: أنّا إذا شككنا في نسبٍ حسبنا كم بين من في أوله ومن في آخره من السنين، وجعلنا لكل مائة سنة ثلاث أنفس فإنها مطّرِدة, ويتكلم عن نجل حجر أنه قال: "ولقد اعتبرنا بها أنساب كثير ممن أنسابهم معروفة فصحت،

(1) علي عبد الواحد وافي، *عبقريات ابن خلدون* (السعودية: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع, ط:1، 1404ه-1984م) ص2، ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون*، ص25.

(2) ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 377/3.

(3) عبد الرحمن وليّ الدين أبو زيد الحضرمي (ت: 808هـ) *رحلة ابن خلدون*، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1425هـ-2004م)،27/1.

(4) البرهان البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وله ديوان شعر سماه (إشعار الواعي بأشعار البقاعي), ينظر: *الأعلام* للزركلي،75/1.

وأنساب كثير ممن يتكلم في أنسابهم فانخرمت"[1]، على ما ورد في نسق العقيان للسيوطي[2].

2.1.ثانياً: حياة العلامة ابن خلدون العلمية والعملية:

1.نشأته العلمية:

كان بيت والده بيت دين وعلم وأدب، فنشأ ابن خلدون في جو ديني وعلمي، في كنف أسرة مسلمة تتميز بالعلم والأدب، كما جمعت أسرته بين العلم والرياسة والسلطان، وتولوا مراتب ومناصب عليا في دولة تونس, إذ شاركوا في العديد من حروبها دون انقطاع صلتهم بالعلم والأدب[3]. وكان والده ذا مكانة علمية. وهو أول معلم له حيث حفّظه القرآن الكريم منذ صغره[4], ثمَّ درسَ على يدِ كَوْكَبَةٌ من العلماء حتى أصبحت ثقافتهُ موسوعيَّة.

قرأ ابن خلدون وجوّد حِفظ القرآن الكريم، فقرأه على السيد أبي عبد الله محمد نجل سعد ولد تراك، الأنصاري، بالقراءات السبعة تخصيصا وجمعاً، وذلك في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة، ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعاً بين الروايتين عنه[5].

2.حياته العملية:

---

(1) محمد عبد الحي الحسني الإدريسي، المشهور بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ), *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:2، 1982م), 1106/2، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني الشافعي (ت:765هـ), *ذيل تذكرة الحفاظ* (دار الكتب العلمية ط:1، 1419هـ-1998م) ، 3/1.

(2) ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ), *تذكرة الحفاظ* (لبنان: دار الكتب العلمية, ط:1، 1419هـ-1998م) ، 3/1.

(3) ينظر: محمد منير مرسي، *التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية* (مصر: عالم الكتب، ط1, 1425هـ-2005م) 396/1، هاني محمد أبوشنب, *ابن خلدون فقيهًا* (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية, ط1, 1433ه-2012م),5/1، الواد صليحة, مختاري جهيدة, *مصادر ابن خلدون في المقدمة علوم القرآن والحديث أنموذجاً* (الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد, 1435ه-2014م), 6/1.

(4) ينظر: ابن الأحمر، *أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن*، 297/1.

(5) يوسف بردي، المنهل الصافي، 206/7.

بدأ ابن خلدون حياته العملية بوظيفة متواضعة بتونس عام (1351م)[1] وهي كاتب في ديوان وزير الدولة الحفصية، فكان صاحب علامة أمير المؤمنين المستنصر بالله إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر الحفصي، وكانت العلامة: (الحمد لله والشكر لله، بقلم غليظ)[2], وكان آنذاك شابّاً صغيرا[3].

بعد ذلك ذهب ابن خلدون إلى السلطان أبي عنان في بلاد المغرب الأقصى لمرافقته، بعد أن أصبح عضواً بمجلسه العلمي، ومن كُتّابه. وكانت قدرته القيادية كبيرة, فعَظُم أمره عند السلطان[4]. ومن هنا بدأت الطموحات السياسية، فتعرف على القصور والمؤامرات التي كانت تختمر لطرد السلطان واستقدام غيره. ووصل لشيء من طموحاته عندما عين حاجباً لملك بجاية أي رئيس وزراء عام 776ه[5]. ثم حصلت له محنة عند موت أبي عنان, المتقدم ذكره، فالتحق بالسلطان أبي سالم الذي ولّاه كتابة الإنشاء[6].

ثم بدأ يشعر أنه لاجدوى من الدخول في السياسة, وسبب ذلك هو عدم تحقق كل الطموحات التي رغب الحصول عليها, ولا سيّما أن الحنين للعلم قد عاوده, وهذا هو الميل الأصيل لابن خلدون, لكنه لم يقرر أخيراً التقاعد إلا في عام (776هـ)[7].

وهكذا أمضى ابن خلدون السنوات العشرين الأولى من حياته في دراسة الدين واللغة والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية, خمسة وعشرين عاماً أخرى كموظف حكومي في دولة شمال إفريقيا. وهذه الفترة هي فترة الاضطرابات السياسية من

---

(1) إدوارد كرنيليوس فانديك (ت: 1313هـ) *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع*، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، صححه وزاد عليه: محمد علي البيلاوي (مصر: مطبعة التأليف-الهلال- 1313ه/1896م) ، 76/1.

(2) يوسف بن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 207/7.

(3) ينظر: ابن الأحمر، أعلام المغرب، 297/1.

(4) ينظر: يوسف بن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 207/7.

(5) ينظر: ابن الأحمر، *أعلام المغرب*، 297/1.

(6) ينظر: ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 207/7.

(7) ينظر: *مجلة البيان*، العدد (238) ص 24/36.

عام 1350إلى1374م, ثم عاش في القاهرة لمدة 24 عامًا مدرسًا وقاضيًا وكاتبًا حتى وفاته[1].

3.1.ثالثاً: سفره في طلب العلم والعمل:

يرى ابن خلدون أن رحلة طلب العلم تزيد في المعارف، وتستمد منها الأخلاق، إما محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، وإما علماً وتعليماً وإلقاء, ولاسيّما أن الرحلة، في منظوره, لا مناص منها في التماس العلم لأخذ الفوائد، والتمام بلقاء المشايخ، وخلق الشخصية العلمية التي يمكن أن تتجدد وتبتدع في نطاق الغرض المقصود، والهدف المطلوب[2], ويرى أيضاً أن أنبل أهداف الرحلة هو نشر المعرفة, وليس بهدف الاستفادة من الغير فقط، بل لإفادة الآخرين أيضاً، ويُعلِّم من يلقاهم من الفن الذي اكتسبه فتكبر منزلته بينهم وتكثر الاستفادة من حكمته. ولقد رحل ابن خلدون إلى المغرب والأندلس وأفاد واستفاد, وأخذ من شخصيات بارزة. ومن هذه الشخصيات: أبو القاسم الشريف السبتي, ومحمد أبو البركات البِلِّفِيقي, وأبو القاسم محمد البَرْجي قاضي الجماعة (ت786ه), وقاضي الجماعة بفاس أبو عبدالله محمد المقري (ت785ه), ومحمد أبو عبد الله الشريف التلمساني[3].

كان ابن خلدون حريصاً في طلب العلم, لذلك اقتدى بسير أسلافه من والعلماء والفقهاء فقطع, المسافات والأميال، ورحل من بلاد إلى أخرى للحصول على العلم والاستنارة به[4].

ولما أصاب الطاعون مدينة ابن خلدون سنة (1348م) التي ولد بها، هلك بالوباء أبواه وكلُّ من كان يأخذ منهم العلم من شيوخه, وكان عمره آنذاك (18) عاماً, ثم غادرها واضعاً هدفاً له، وهو طلب العلم، سواءٌ أكان في بلاد الأندلس والمغرب, أم في غيرهما من البلدان. وبعد تلك الجولات انتهى به المطاف إلى

---

(1) جاسم سلطان، *أداة فلسفة التاريخ*، 12/1.
(2) ينظر: *مقدمة ابن خلدون*، ص541.
(3) ينظر: محمد بن محمد بن سالم مخلوف (ت:1360هـ) *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، بتعليق: عبد المجيد خيالي (لبنان: دار الكتب العلمية، ط:1، 1424هـ- 2003م) ، 328/1.
(4) ينظر: علي عبد الواحد وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص6.

مرحلة التأليف معتزلاً عن كل ما يُشتّت فكره ويَشغَلُه, وكان عمره حينئذ 45 عاماً[1].

وأما دخول ابن خلدون الأندلس فكان بعد أن أرسل زوجته وابنه إلى أخوالهم بمدينة قسنطينة, دَخَل إلى الأندلس في الثامن من ربيع الأول عام أربع وستين وسبعمائة, فتلقَّاه أميرها السلطان ابن الأحمر بالكرم بما لايشاركه فيه أحد من الوفود والملوك[2] فأجلسه بمجلسه. وبقي عنده سنتان وأربعة أشهر, ثم أرسله إلى عظيم الفرنج بإشبيليـة, للصلح بينهما، فلقيه الملك, وعظّمه, وقام بالأمر الذي نُدبَ إليه[3].

ويذكر ابن خلدون أنه بات ليلةً, بالقرب من مدينة غرناطة، فوافته رسالة من وزيرها, لسان الدين بن الخطيب, يهنئه ويعبر بها عن شدة ابتهاجه للقياه يقول فيها[4]:

حللت حلول الغيث في البلد المحْلِ .... على الطائر الميمون والرّحب والسّهـــلِ

يـميناً بـمن تعنو الوجـوه لوجهـــــــــــــــه .... من الشّيخ والطفل المعَصَّبِ والكهـــــــــلِ

لقد نـشأت عندي للقياك غبطـــــــة .... تُنَسّي اغتباطي بالشّبيبة والأهـــــــــــــل[5]

بعد سفرته إلى الأندلس هاجَرَ إلى تِلِمْسان بطلب من صاحبها، فأقـام فترة في وادي العرب ثم استدعاه عبد العـزيز حاكـم فاس، فذهب ابن خلدون من بسكرة إلى فاس. وفي الطريق نهب. وتوفي ملك فاس قبل وصوله، وأقام فيها عامين، ثم ذهب إلى الأندلس, ثم عاد إلى تلمسان، وبقي فيها أربعـة أعوامٍ لا يفتر عن طلب العلم إن

(1) ينظر: علي وافي، *عبقريات ابن خلدون*, ص6.
(2) ينظر: معجم الشعراء العرب ، 139/1.
(3) ينظر: ابن حجر العسقلاني (ت:852ه)، *رفع الإصر عن قضاة مصر*، تحقيق: علي محمد (القاهرة: مكتبة الخانجي, ط1, 1418ه-1998م), 234/1, محمد الخضر, *حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية*, محاضرة ألقاها في الحفلة التي أقامتها جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية مساء الجمعة 5صفر,1343ه.
(4) ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 379/3.
(5) القصيدة من بحر الطويل, ابن خلدون, التعريف,ص83-84.

وجد من هو أعلمُ منه, فدرس على يد الإمام الآبلـي وهو من أشهر العلماء في تلك الحقبة[1] ثم ارتحل عنهم إلى تونس في شهر رجب عام 780ه, ثم غادرها.

وما رواه ابن خلدون من الأحداث السابقة يشير إلى أن مغادرته لتونس كانت خشية ظلم سلطانها وخيانة بلاطها, ولم يجد في تونس مايريده من الهدوء والسكينة, فاستغل وجود الحاكم بتونس ووجود مركبٍ مصري قاصد مدينة الإسكندرية, فأَصرَّ على الحاكم في الإجازة له بالسفر لتأدِية فريضة الحج, فركب على متن السفينـة بمفرده تاركـاً عائلـته في تونس، فوصـل الإسكـندرية, ومنها ذهب إلى القاهرة, وقد كان حينئذٍ في الثانية والخمسين من عمره, لكنه كـان مليئًا بالنشـاط والطاقة، ودَوْماً يتَطَلُّع إلى مناصب النفـوذ والمجد. وكانت القاهرة في ذلك الوقـت موطن الفكـر الإسلامي ومعقلاً للعلم وموئلاً للعلماء في الشـرق والغرب[2] لذا يقول ابن خلدون: "ونحن، لهذا العهد، نرى أن العـلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر"[3], ولاسّيما أن ابن خلدون تَصَدَّر للإقراء فترةً في جامع الأزهر بالقاهرة, وعمل ونَفعَ, ثم رافق الحاكم علاء الدين الطنبغا الجوباني وأوصله إلى السُلطان الظاهر برقوق، فأُعطي تلقينَ المدرسـة القمحية قرب جامع عمرو بن العـاص رضي الله عنه, ثم ولاه الظـاهر برقوق مشيـخة البيبرسـية[4] وقضاء القضاة المالـكية بديار مصر[5] عام (786ه)، وبـاشر بذمة وافرة ورفعة زائدة، وحمـدت سيرته[6] ودفع خطابات أكابر البلد ووساطات الأعيان، فبدأوا في التحدث في أمره، ولا زالوا بالحاكم حتى أبعده في سنة (787ه)[7] فلزم ابن خلدون منزله إلى أن تمت

(1) ينظر: العسقلاني، رفع الإصر، 234/1.
(2) ينظر: العسقلاتي، *رفع الإصر*، 234/1., هاني أبو شنب, *ابن خلدون فقيهاً*, 8/1., الواد صليحة ومختاري جهيدة, *مصادر ابن خلدون في المقدمة علوم القرآن والحديث أنموذجاً* ,ص13.
(3) *مقدمة ابن خلدون*، 3/ 1025.
(4) ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: 845هـ) *السلوك لمعرفة دول الملوك* المحقق: محمد عبد القادر عطا (لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1418هـ - 1997م)، 215/5، السخاوي، *الضوء اللامع*، 145/4، السيوطي، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة* 462/1.
(5) ينظر: ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 114/9.
(6) ينظر: يوسف بن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 207/7.
(7) العسقلاني، *إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ*, 132/5.

إعادته إلى الحكم في يوم الخميس من شهر رمضان في سنة، إحدى وثمانمائة[1] واستقر في منصبه عوضا عن ناصر الدين محمد بن التنسي بعد موته، وهذه ولايته الثانية بعد ما أقام معزولاً نحو خمس عشرة سنة[2] واتفق عند توليته بمدة يسيرة موت الملك الظاهر برقوق في شوال من السنة نفسها، فصُرف أيضاً من عمله في يوم الخميس ثاني عشر المحرم من سنة ثلاث وثمانمائة[3]. وكان الشاعر أحمد بن علي المصري الرسام قد نظم أبياتاً من الشعر في ابن خلدون لما عُزل[4]، مطلعُها:

تداعت روحه للقدس لما ... عزل يوما بأنفاس الخليل[5]

خرج ابن خلدون برفقة الملك الناصر فرج إلى بلاد الشام, لقتال جيش المغول بقيادة تيمورلنك, فانهزم السلطان الناصر فرج, ثم عاد إلى مصر بعد عودة تيمور إلى بلاده, وعند وصوله للقاهرة, سعى فولي القضاء للمرة الثالثة وتابع إلى أن تم إبعاده في الرابع وعشرين من شهر رجب بسنة (804ه)، ثم عاد في يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة من العام، بعدذلك صرف يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأول سنة (806ه)[6]، وأعيد في شعبان سنة سبع وثمانمائة، وصرف بعدها أيضاً, ثم أعيد في شعبان سنة(808ه)[7]. ولم تدم مدته. وتوفي وهو قاض في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة(808ه)، وقد بلغ من العمر ستاً وسبعين عاماً[8].

4.1.رابعاً: تفرغ ابن خلدون للتأليف:

قرر ابن خلدون ترك السياسة, والتفرغ للتأليف بعد حياة مليئةٍ بالتجارب, ولاسيما أنه شغل الكثير من الوظائف, والمناصب الرفيعة, وعاش قسوة السجن ثم

(1) تقي الدين المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 122/6.
(2) تقي الدين المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 440/5.
(3) المقريزي, *السلوك لمعرفة دول الملوك*, 215/5.
(4) ينظر: السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 47/2.
(5) السخاوي، *الضوء اللامع*، 47/2.
(6) ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 189/2.
(7) ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:852ه)، *إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ*، بتحقيق: حسن حبشي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي, 1389ه-1969م), 15/5- 132.
(8) تغري بردي، *المنهل*, 209/7.

الرفاهية, بالإضافة إلى سفره للعديد من البلدان العربية والأوربية, وتواصله مع العلماء, فجالسهم وتبادل الأفكار معهم, فكل هذا ساعده على اكتساب الخبرة والاستمرار بمطالعة الكتب بالمكتبات المتاحة في المدن التي زارها, في ذلك الوقت. وبعد كل هذا طلب الإذن من أمير تلمسان أن يقيم في منطقة تسمى بـــ(قلـعة بني سـلامة), والمعروفة حالياً بـــ(مدينة فرندة/ولاية تيارت) حيث استقر فيها أربع سنوات نَعِمَ بالاستقرار. ثم بدأ بتأليف كتابه الذي أسماه بـــ(المقدمة في فضل التاريـخ) والمعروف بـمقدمـة ابـن خلـدون كمقدمة لمؤلفه الموسوم: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, أنجزه خلال خمسة أشهر, من عام (778ه/ 1377م) وبمجرد أن بدأ في الكتابة انهالت عليه شـآبـيب الكـلام كماقال, حيث كتب عن الظواهر الاجتماعية وغيرها الكثير وعن تأثيرها فيقول: "لم أترك شيئاً في أولية الدول ولا في الأجيال....إلا واستوعبت جُمَله, وأوضحت براهينه وعلله"[1] ولاسيَّما أنه وضع في كتابه خبرة كبيرة, وفيما بعد تم فصل المقدمة منه وترجمتها لعدة لغات لأهميتها.

5.1.خامساً: شيوخ ابن خلدون:

درس العلوم الشرعية على يد العلماء الأندلسـيين الذين هـاجروا إلى تونـس في زمانه، منهم:

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمَّد بن عبد الله بن الإمام التنسي التلمساني، عرف بالآبلي (ت:749ه) وأخوه أبو موسى عيسى: خاتمة الحفاظ بالمغرب ممن اصطفاهم السلطان أبو الحسن معه إلى تونس وأخذ عنه في رحلته هذه فضلاء تونس ومنهم ابن خلدون[2].

- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي: قاضي فاس وعالمها[3].

أ/ في القراءات:

---

(1) علي عبد الواحد وافي، *المقدمة*، 287/1.

(2) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، 316/1.

(3) *شجرة النور*، 433/1، أحمد بن المقري التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق: إحسان عباس (لبنان-بيروت: دار صادر, ط:1)، 428/5.

- أبو عبد الله محمد بن سعد بن نزال الأنصاري الأندلسي المقرئ من أهل تلمسان[1].

- أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب[2].

ب/ في الحديث:

- الشيخ محمد بن إبراهيم بن الحاج البِلّفِيقي, شيخ المحدثين والخطباء والفقهاء في الأندلس[3].

- إمام المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادي اشي المتوفي سنة (746ه) مؤلف أسانيد المالكية وهو عن ابن عبد الرفيع[4].

- ابن هارون القرطبي، وعبد الواحد بن المنير[5].

ج/ في الفقه[6]:

- قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري[7].

- أبو عبد الله محمد بن سليمان البسطي[8].

- أبو عبد الله بن عبد الله الجياني[9].

- أبو القاسم محمد القصير[10] قال فيه ابن خلدون: قرأت عليه كتاب التهذيب لأبى سعيد البرادعي ومختصر المدونة وكتب المالكية[11].

د/ في اللغة العربية:

(1) ابـن الـعماد، *شذرات الذهب*، 114/9, أبو شنب, ابن خلدون فقيهاً, 1/9-10.
(2) ابن العماد, *شذرات الذهب*، 114/9.
(3) ينظر: علي عبد الله وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص29، *التعريف ضمن تاريخ ابن خلدون*، 588/7.
(4) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور*، 662/1، ابن العماد، *شذرات الذهب*, 71/1، بن تغري بردي، *المنهل*، 206/7.
(5) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور*، 662/1.
(6) التعريف *ضمن تاريخ ابن خلدون*، 588/7.
(7) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور*، 662/1، ابـن الـعمـاد، *شذرات الذهب*، 114/9.
(8) بن تغري بردي، *المنهل الصافي*, 206/7.
(9) بن تغري بردي, *المنهل الصافي*، 206/7.
(10) بن تغري بردي, *المنهل الصافي*، 206/7.
(11) علي عبد الله وافي، *عبقريات ابن خلدون*، 29/1.

درس ابن خلدون علوم اللغة العربية بالتفصيل على أيدي كبار المعلمين, منهم:

- إمام العربية والأدب بتونس، أبو عبد الله محمد بن بحر[1].
- أبو عبد الله بن العربي الحصايري[2].
- أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرازلي[3].
- أبو العباس أحمد بن القصار[4].

ه/ في المنطق وسائر العلوم الحكمية والتعليمية:

- أبو محمد عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي[5].
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي أَخذ عَنهُ ابْن خلدون وترجمه[6].
- أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي[7].
- القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النور[8].
- شيخ التعاليم أبو عبد الله محمد بن النجار[9].
- الخطيب أبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق.

وغيرهم الكثير. قال ابن خلدون: "هذا ما أذكر ممن حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن من أشياخنا"[10]. ويقول ايضاً: "إلى آخَرين وآخرين من أهل المغرب والأندلس، كلهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازني بالإجازة العامة"[11]. وختم ابن

---

(1) علي عبد الله وافي، *عبقريات ابن خلدون*، 38/1.
(2) بن تغري بردي، *المنهل الصافي*, 206/7.
(3) بن تغري بردي, *المنهل الصافي*، 206/7.
(4) أبو العباس البسيلي، *نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد*، 76/1.
(5) ابن العماد، *شذرات الذهب*، 114/9، محمد سالم مخلوف، *شجرة النور*، 662/1، بن تغري بردي، *المنهل الصافي*, 206/7.
(6) ابن العماد، *شذرات الذهب*، 114/9، بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، المحقق: محمد ضان (الهند-حيدر اباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية, ط:2، 1392هـ-1972م)، 14/5.
(7) بن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 206/7.
(8) ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 114/9.
(9) ابن العماد, *شذرات الذهب*, 114/9.
(10) *التعريف ضمن تاريخ ابن خلدون*, 457/7-475.
(11) *التعريف ضمن تاريخ ابن خلدون*, 475/7-490.

خلدون حديثه مشيرًا إلى أن من ذكرهم من الشيوخ قليلٌ من كثير ممن لقيهم وأخذ عنهم ومنحوه الإجازات العلمية.

6.1.سادساً: تلاميذه:

- الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني وزملاؤه[1].

- الإمام المؤرخ تقي الدين المقريزي[2].

- العلامة بدر الدين الدماميني[3].

- محمد بن أحمد بن حسن البساطي، أخذ الفقه عن العلامة المؤرخ, ابن خلدون[4].

- الفقيه عبد الله مقداد الأفقهسي[5].

- العلَّامة محمد بن عمار المصر[6].

لا غرابة أن يكون لعالم كابن خلدون تلاميذ كثر، وهو الذي صال وطاف بالبلاد، ولم يبخل بعلمه أينما ذهب، فهناك آخرون ممن نهلوا من علمه ذُكروا ضمن كتب متفرقة، منهم:

- أبو عبد الله محمد بن الصباغ الخزرجي المكناسي: ذكر ابن خلدون أنّه من تلاميذه[7].

- أحمد بن يوسف بن فخر العرب أبو العباس الحلوجي ذكر أنه أخذ النحو عن ابن خلدون[8].

---

(1) علي عبد الله وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص 329.
(2) أحمد بن علي، أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقريزي (ت:845هـ) *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1418ه)، 190/3.
(3) السخاوي، *الضوء اللامع*، ص 147.
(4) الضوء اللامع, 184- 187.
(5) علي عبد الله وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص 329.
(6) عبقريات ابن خلدون، ص329.
(7) ينظر: محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (ت: 1376هـ) *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي* (بيروت: دار الكتب العلمية, ط:1- 1416هـ- 1995م) ، 289/2.
(8) ينظر: السخاوي، *الضوء اللامع*، 249/2.

- بدر الدين محمَّد بن أبي بكر الدماميني القرشي الإسكندري: قال عنه محمد مخلوف صاحب شجرة النور الزكية: أخذ عن أعلام منهم ابن خلدون، وابن عرفة، والناصر التنسي، والجلال البلقيني[1].

- ابن جماعة. وجاء في الضوء اللامع أن: ابن جماعة أخذ عن ابن خلدون فكان يتبجح بذكر ذلك في دروسه[2].

- ابن العماد: محمد بن عبد الرحمن بن الخضر, وأبو ياسر محمد بن عمار بن أحمد الشمس, لقبه بعض شيوخه ناصر الدين، ذُكر أنّهم أخذوا أصول الفقه عن ابن خلدون[3].

-بدر الدين محمَّد بن أبي بكر الدماميني القرشي الإسكندري. ذكره صاحب شجرة النور الزكية بقوله: العمدة المتفنن في العلوم والمعارف الفهامة الأديب النحوي اللغوي الإمام المفضال، العارف بالشروط الرحّال، أخذ عن أعلام، منهم ابن خلدون، وابن عرفة، والناصر التنسي، والجلال البلقيني[4].

كذلك ابن خلدون أجاز طائفةً من علماء مصر خلال الإقامة بها. ومنهم الإمام ابن حجر العسقلاني، وكَتبَ في إجَازَته: "الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أجزت لهؤلاء السادة والعلماء القادة، جميعاً على الشروط المعتبرة عند العلماء، والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم، ويجعلنا من سالكي سبله، وكتب بذلك عبد الرحمن بن خلدون، منتصف شعبان عام سبعة وتسعين وسبعمئة"[5]. كما أجاز ابن خلدون عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن سحلول. وأجاز غيرهما[6].

(1) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، 346/1.
(2) ينظر: السخاوي، *الضوء اللامع*، 172/7.
(3) ينظر: *الضوء اللامع*، 233/8.
(4) محمد سالم مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات* المالكية، 346/1.
(5) *ابن خلدون، المقدمة*، 439/1.
(6) ينظر: اليعمري، *الديباج*، ص112.

7.1.سابعاً: مؤلفاته وآثاره الفكرية المطبوع منها والمخطوط:

تمكَّن ابن خلدون من الوصول إلى نظريات باهِرَةٌ, في علم الاجتماع, حول مفهوم وفكر العصبية وقوانين العمران, وإنشاء الدولة وسقوطها, لا سيّما تأليفه لعدد كبير من المصنفات, في الحساب المنطق, التاريخ, وهي:

1- العبر وديوان المبتدأ والخبر:

سماه المؤلف: "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[1] واشتهرت مقدمة هذا الكتاب شهرة مستفيضة، وعرفت بين أهل العلم باسم (مقدمة ابن خلدون). وقال عنه ابن العماد الحنبلي: "وقد قامت شهرة ابن خلدون على تاريخه المعروف بـ العبر وديوان المبتدأ والخبر"[2].

وقال ابن حجر: قرأت في وصف تاريخ ابن خلدون بخط الشيخ تقي الدين المقريزي: "مقدمته لَم يعمل مثالها، إذ هي زُبدة العلوم، توقف على كُنه الأشياء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبئ عن كل موجود، بلفظ أبهى من الدُّر"[3], شرح ابن خلدون من خلال مؤلفه (العبر) تفسير العمران البشري وكيف تنشأ وتذبل وتذوي الدول، كأن ذهنه وعقله كانا يخزنان هذه المعلومات من خلال عمله في السياسة والإدارة, فكان يفكر ويحلل بمثل هذه المواضيع. وعندما بدأ في الكتابة انهالت عليه أفكار متدفقة مثل الشلال، ثم انتهى من كتابة المقدمة بخمسة أشهر, ووجد أنه جاء بعلم حديث، لأنه يقول: "وكأن هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما

(1) حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، 1795/2، ملتقى أهل الحديث، *الوفيات والأحداث*، 169/1، نقلا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي*740/10، ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، 190/1.
(2) ابن العماد، *شذرات الذهب*، 71/1.
(3) العسقلاني، *رفع الإصر عن قضاة مصر*، 236/1.

يلحقه من العوارض والأحوال لذاته"[1] ويقول: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص"[2] وبعد أن انتهى من تأليف المقدمة, وتعتبر جزءاً من (العبر) أعطى نسخة منه إلى سلطان تونس.

2- شرح قصيدة البردة[3].

3- التعريف بابن خلدون[4].

وهذا الكتاب مزيج من أدب رحلته وسيرته الذاتية, فكتبه بلغة سلسة ودقيقة، وصف به رحلته لكل من الأندلس, الفرنجة، ثم مصر التي أقام بها قرابة ربع قرن متنقلاً بين مناصب التدريس والقضاء[5].

قال لطفي جمعة المصري صاحب تارخ فلاسفة الإسلام: "انفرد ابن خلدون بين مؤلفي العرب باتخاذ يوميات أو مذكرات شخصية يدونها يوماً فيوماً (أجندة) وأطلق عليها اسم التعريف بابن خلدون وفيها ترجمته ونسبه وتاريخ أسلافه، وشرح من خلالها ماعاناه في حياته، ويتخلل ذلك مراسلات وقصائد نظمها في بعض الأحوال، وكثيراً مما أصابه في دهره"[6].

وجاء في الموسوعة العالمية أن لابن خلدون مؤلَّفاً آخر في أدب الرحلات اسمه: نُفاضة الجِراب في علالة الاغتراب, حيث وصف به تَطلُّعاته أَثْناء الإقامة الجبريَّة في بلاد المغرب, ويَقعُ في ثلاثة أجزاء[7].

4- تلخيص كتاب ابن رشيد[1].

---

(1) *المقدمة*, 331/1. ويقصد بالعوارض والأحوال لذاته: القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، مثل أن العصبية القبلية غايتها الملك أو أن الحضارة (كثرة الرفاهية) مؤذِنة بفساد العمران، وأن الدول لها أعمار، وقد ضرب ابن خلدون مثلاً للظواهر الاجتماعية، فقال: (ما يعرض لطبيعة العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك كله من الملك والدول وخرابها) ينظر: *المقدمة*, 328/1 .

(2) المصدر *نفسه*, 331/1 .

(3) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(4) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(5) ينظر: ابن الخطيب، *الإحاطة*، ص10، عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 29/1.

(6) لطفي جمعة، *فلاسفة الإسلام*، ص231، عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس والأثبات*، 9/1.

(7) ينظر: *الموسوعة العربية العالمية*، ص3.

5- لباب المحصل في أصول الدين: وهو اختصار وتهذيب لكتاب (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) لفخر الدين الرازي، وقد لخَّصه في التاسعة عشرة من عمره[2].

6- شرح الرجز في أصول الفقه[3].

7- تقييد في المنطق ونقده[4].

8- الحساب[5].

9- وصف بلاد المغرب لتيمورلنك[6].

10- شفاء السائل لتهذيب المسائل[7] في التصوف أخذ الكثيرو عنه، منهم: الإمام ابن مرزوق والبساطي, والدماميني, والبسيلي[8].

11- مزيل الملام عن حكَّام الأنام[9]. يخاطب فيه القضاة يرشدهم إلى إخلاص النية وإلى ما يرفع من شأنهم ويسدد أحكامهم.

8.1.ثامنًا: آراء العلماء في ابن خلدون:

لقد حظي ابن خلدون بالكثير من ثناء علماء عصره، وكذلك ذوو الجاه والسلطان، فمن الذين أثنوا عليه:

1- ثناء السلطان أبو حمو الزياني:

خاطب حاكم تلمسان, ابن خلدون, فعرض منصب الحجابة عليه, وأوفد له خطاباً بذلك جاء فيه: "أكرمكم الله يا فقيه, أبا زيد, وإلى رعايتكم, إنا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة في مقامنا, مع ما نعلمه من محاسن اشتملت

---

(1) أبو العباس البسيلي (ت:830هـ) *نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد*، تقديم وتحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (المملكة المغربية: مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء)، ط:1، 1429هـ - 2008م،94/1.

(2) ينظر: الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(3) ينظر: الزركلي، *الأعلام* ، 330/3.

(4) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(5) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(6) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(7) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

(8) أبو العباس البسيلي، *نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد*، 94/1, إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، *الموافقات*، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:1، 1417هـ/ 1997م، 182/2.

(9) الزركلي، *الأعلام*، 330/3.

عليها أوصافكم, ومعارف فقتم فيها نظراءكم وكانت خطة الحجابة ببابنا العلي أسماه الله أكبر درجات وأمثالكم, وأرفع الخطط لنظرائكم"[1].

2- رأي الوزير لسان الدين بن الخطيب:

هذا الإنسان الفاضل صحيح الخلق، مبهر في الشخصية، سامٍ في المكانة، محترم في المجلس عالي الهمة، قوي في ضبط النفس، طامحا لحكم الرئاسة، متقدم في الفنون النقلية والعقلية صائب في البحث حفظه كثير، تصوره صحيح، ماهر في الخط، جواد الكف، طيب المعشر، مقيم لرسوم التعيين فخر من مفاخر التخوم المغربية[2].

3- رأي الحافظ أحمد بن حجر:

قال عنه تلميذه ابن حجر: "كان فاضلًا صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح"[3].

4- وقال عنه ابن العماد الحنبلي:

"فيلسوف التاريخ الإسلامي، وأحد نوادر الدهر علماً وثقافة وتحصيلاً صاحب (التاريخ) الذي اشتهرت منه (المقدمة) شهرة لم تكتب إلا للقلّة من المصنفات الإسلامية في جميع العصور, حتى دعيت هي بـــ(مقدمة ابن خلدون) وكأنه لم يصنّف غيرها, وكان فصيحًا، جميل الصورة، عاقلًا، صادق اللهجة، عزوفًا عن الضيم"[4].

5- وقال عنه محمد الثعالبي الجعفري: صاحب كتاب "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي":

"إمام المؤرخين وسيد الأخباريين وصدر الفقهاء والكتاب والشعراء والمتفننين، الحافظ الثقة الحجة المحدث الفيلسوف، مخترع الفلسفة التاريخية وقدوتها"[5].

---

(1) ابن خلدون، *التعريف*، 502/7- 503.
(2) ابن الخطيب، *الإحاطة*، 377/3، ابن العماد، *شذرات الذهب*، 115/9.
(3) العسقلاني، *إنباء الغمر بأبناء العمر*، 332/5.
(4) ابن العماد، *شذرات الذهب*، 71/1.
(5) محمد الثعالبي، *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي*، 295/2.

6- قال عنه السخاوي:

"برع في العلوم، وتقدم في الفنون، ومهر في الأدب والكتابة، وولي كتابة السر بمدينة فاس، ثم دخل القاهرة فولي مشيخة البيبرسية وقضاء المالكية، وصنف التاريخ الكبير"[1].

7- وقال عنه ابن الأحمر صاحب كتاب أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن:

"هو ممن لا ينكر حقه في ارتياض العلوم الشريفة، واستئصال رتبها العالية المنيفة، لما احتوت عليه ترجمة ذكره، من أساليب النظام الرائقة الحلاء، وأقوال النثر البارعة في الإنشاء، وله باع واسع في المنطق وعلم النجوم وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم؛ ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة"[2].

وقد أثنى على ابن خلدون كثير ممَّن كتب عنه، حيث إنه متمسك بمنهج القرآن في مجالات المعرفة كلها، بدءاً من الإيمان بالله والرسول ﷺ، وانتهاءً بعلم السياسة والتاريخ وعلم الطب والكيمياء، والرياضيات والهندسة والبصريات, حيث تبين كل ذلك من خلال روايات العلماء عن شخصية ابن خلدون, لاسيّما وأن لديه حدساً قوياً في التحليل والمقارنة، وضبط والعلل والتحقق منها وإقرار المبادئ والأحكام، لذلك كان مثالاً للباحث المجتهد في الكثير من العلوم التي استطاع أن يتمكن منها في عصره، مثل: التاريخ، والدراسات الشرعية, والتربوية، والعديد من المجالات الأخرى. وانطلاقًا من هذه الميزات ظل ابن خلدون صورة واضحة لأحوال الناس، ودليلًا عالياً على الخبرة واجتهادات العلماء وحرية التفكير، وتقديرًا كبيرًا لعظمة الحضارة الإسلامية.

(1) السخاوي، *الضوء اللامع*، 145/4، السيوطي، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، 462/1.
(2) ابن الأحمر، *أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن*، 298/1.

9.1.تاسعاً: وفاته:

قال محقق كتاب تاريخ ابن خلدون: "عاد ابن خلدون الى مصر وتوفي فيها سنة (808ه-1406م)"[1] وذكر ابن العماد: "أنّه توفي فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان، بعد أن أُعيد إلى القضاء بثلاثة أيام[2]، ودفن بمقابر الصّوفية خارج باب النصر، وله ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوما"[3]. وهذا التاريخ ذكره العسقلاني في حسن المحاضرة[4] والسخاوي في الضوء اللامع[5] وابن تغري بردي في المنهل الصافي[6] وغيرهم ممن أرخوا لسيرته.

(1) *تاريخ ابن خلدون*، 4/1.
(2) ينظر: العسقلاني، *إنباء الغمر بأبناء العمر*، 332/5.
(3) ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 115/9.
(4) ينظر: العسقلاني، *حسن المحاضرة*، 462/1.
(5) ينظر:السخاوي، *الضوء اللامع*، 145/4.
(6) ينظر: يوسف بن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 210/7.

2. الفصل الأول: مصادر مؤلفات ابن خلدون

1.2. المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن.

كانت الحملة التي تم تنفيذها من قِبل أبي الحسن المريني سنة (748ه-1347م) على إفريقية فرصة لابن خلدون, تعرَّف من خلالها على طائفة من العلماء المغاربة، من فقهاء وقضاة وكتاب وشعراء وعلماء، وآخرين. واستطاع ابن خلدون أن يصطحب بعضهم في تونس ويلحق بهم في فاس، فكان لهم تأثير كبير عليه، ويعتبرون المصادر التي استقى منها علمه ومنهجه. وأظهر لهم ابن خلدون، تقديراً عظيماً واحتراما، معترفاً بكفاءاتهم وعلمهم لما قدموه له من معرفة وعلم في التفكير والمنهج.

قدم ابن خلدون في فصلين من مقدمته إلى علوم القراءات ورسم المصحف العثماني، فدرس هذين الموضوعين، دراسة الثبت الخبير[1] وقال في مقدمة (العبر) في علوم القرآن: "وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب[2] وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[3]. ومعلوم أن عرب الجزيرة لم يتساووا في فهم كلام القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم لتعدد لهجاتهم وانفصال قبائلهم, وذلك لأن نزول القرآن بلغتهم لا يقتضي أن العرب جميعهم كانوا يفقهونه في مفرداته وتراكيبه[4].

---

(1) ينظر: *المقدّمة*، البيان، ص187- 1089- 1128- 1130- الباب الخامس فصل الخط والكتابة، والباب السادس، فصل علوم القرآن والقراءات, علي وافي, عبقريات ابن خلدون, ص154.

(2) محمد جمال الدين القاسمي (ت:1332هـ) *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1418هـ)، 10/1.

(3) المقدمة، ص367، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت:875هـ) *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، المحقق: محمد معوض وعادل عبد الموجود (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1418هـ)،48/1، عبد الرحمن الحجيلي، *المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم* (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط:1)، 6/1.

(4) ينظر: أبو الحسن مقاتل بن بشير الأزدي البلخي (ت:150هـ) *تفسير مقاتل بن سليمان*, المحقق: عبد الله شحاته (بيروت: دار إحياء التراث، ط:1، 1423ه)، 5/5, عبد العال سالم مكرم, *غريب القرآن الكريم*, ص15.

فقد روى البخاري أن عَدِيّ بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾[1] وأبلغ من حاله أن تناول عقالاً لونه أبيض وعقالاً أسود، فعندما صار بضع الليل أبصر إليهما فلم يستبينا، فحين استيقظ اطّلع رسول الله ﷺ على شأنه، فأفهمه المراد.

والذي يفهم من كلام ابن خلدون سابق الذكر, أن العرب يعرفون معاني كلماته وتراكيبه بمجموعهم, ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق لكل فرد منهم[2].

مصادر ابن خلدون من كتب التفسير:

لم يذكر ابن خلدون الكتب التي درسها في تفسير القرآن الكريم، لكن ما كتبه في الباب السّادس من مقدّمته عن تفسير القرآن الكريم وأنواع الشروح، وما أُلف في كل طراز منها، وتعقيبه على كل تفسير بما يُبيّن طريقته ومحتوياته، والمواطن التي حادَ فيها عن جادّة الصواب، كل ذلك يدل على أن حظَّه من هذا العلم لم يكن بأقل من حظه من علوم القرآن الأخرى[3].

من شواهد اطّلاعه على كتب التفسير:

يحلل ابن خلدون مصنف الكشاف، للزمخشري عند حديثه فيما يعود إليه الشرح من إلمام اللغة والإعراب والفصاحة قائلًا: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير، كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحِجاج على مذاهبهم الفاسدة"[4] ثم ذكر من هذا النوع تفسير شرف الدين الطيبي[5].

وعندما تحدث عن التفسير النقلي ذكر أن المفسرين نقلوا فيه روايات بداية الخليقة عن أهل الكتاب والملاحم والأمم السابقة، وأن هذه التفاسير بعيدة كل البعد

---

(1) سورة البقرة الآية (187).
(2) ينظر: *التفسير والمفسرون*، 30/1, عبد الرحمن الحجيلي, *المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم*, ص6.
(3) ينظر: *المقدّمة*، ص 407.
(4) ينظر: مناع القطان (ت:1420هـ) *مباحث في علوم القرآن*، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:3، 1421هـ- 2000م), 381/1.
(5) ينظر: *المقدّمة*، ص 406 - 408.

عن الأحكام الفقهية، فكان سهلًا إقرارها، وكان مرغوبًا درايتها، فامتلأ بها الشرح المنقول من دون مسعى للتيقن من حقيقة هذه المأثورات عن أهل الكتاب، إلى أن جاء ابن عطية[1] بإيجاز تلك الشروح وتحري الأقرب للصواب منها[2] وعقبه القرطبي[3] بخلاف سابقيهم كالواقدي، والثعالبي، وغيرهما فدونوا التفسير على مبدأ المرويات المأثورة عن الصحابة والتابعين. وهذا التتبع للتفاسير وما بها من مآخذ وإيحابيات لا يصدر إلا من شخص اطّلع عليها وتدارسها ثم أصدر أحكامه عليها.

من مصادر ابن خلدون التي ذكرها في القراءات:

قصيدتا الشاطبي[4]: اللامية في القراءات، والرائية في الرسم: (حرز الأماني ووجه التهاني)[5] المعروفة بالشاطبية، ألَّفها القاسم ابن فِيْرُّه بن خلف الشاطبي، والتي بها لخص كتاب: التيسير في القراءات السبع. وعدد أبياتها (1173) بيتًا. وقد نظمها تسهيلاً لحفظها وتعليمها، فصار الفرع أشهر من الأصل وأكثرَ شروحاً منه؛ لأن

(1) ابن عطية: عبد الحق نجل غالب نجل عبد الرحمن ابن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي من أهل غرناطة، يعرف بالأحكام والحديث، وله شعر، تسلم قضاء المرية، وكان كثير الغزوات في جيوش الملثمين، توفي في الورقة، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) و (برنامج في ذكر مروياته وأسماء شيوخه) وقيل في تاريخ وفاته سنة 541ه و 546ه.

(2) تفسير ابن عطية المسمى بـ(المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز), قيمة هذه التفسير عالية بين كتب التفاسير بل عند كل مفسر وسبب ذلك يرجع إلى مؤلفه الذي أضفى عليه من نفس علمية فياضة, مما أكسبه دقة وقبولاً ورواجاً, ولخصه مؤلفه,كما قال ابن خلدون فى مقدمته: من كل كتب التفسير, أي تفاسير المنقول, وتحري أي منها أقرب للصحة, ووضع ذلك بكتاب متداول بين أهل الأندلس وأهل المغرب, حسن المنحى. الذهبي، *التفسير والمفسرون*، 172/1.

(3) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، فقيهاً ومفسراً، عالماً باللغة، ولد بمدينة قرطبة، رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر واستقر فيه، وكان من العلماء الكبار منقطع للعلم ومنصرف عن الدنيا، له مؤلفات بارزة منها: الجامع لأحكام القرآن الكريم، أحوال الآخرة؛ التذكار في أفضل الأذكار؛ التقريب لكتاب التمهيد.

(4)*هو أبو القاسم نجل فيرة نجل خلف نجل أحمد الرّعيني الشاطبي، المقرئ، فقيهاً حافظاً ضريراً, مشهوراً فضيلاً خطب في بلده شاطبة مع صغر سنه، ولد بشاطبة آخر عام (538ه)، ارتحل إلى المشرق فدخل الديار المصريّة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وأستقر في القاهرة واشتهر وذاع صيته واقبل عليه الطلاب, وكان إماماً, ورأساً في القراءات حافظاً للحديث, واسع العلم بالعربية فسارت الركبان في قصيدته (حرز الأماني),و (عقيلة أتراب الفضائل) اللتين في القراءات والرسم، فحفظهما الكثيرين, فخضع لهما فحول الشعراء, وحذاق القراء, توفي في القاهرة عام (590ه-1194م)., شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 24/2.

(5) عطية قابل نصر، *غاية المريد في علم التجويد*، القاهرة، 23/1.

النظم أسهل للحفظ. وسماها ابن عبد الملك: عقيلة القصائد في أسنى المقاصد. وكان ابن خلدون قد ذكر أنَّه عرض هاتين القصيدتين على محمد بن بُرّال الأنصاري.

كما يمكن معرفة مصادر ابن خلدون من كتب التفسير والقراءات، بتتبع شيوخه الذين تلقى العلم على يدهم، فمثلًا نجده يقول عن شيخه الزواوي: "الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي- إمام المقرئين بالمغرب- قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراءات السبع، من طريق أبي عمرو الداني[1] وابن شُرَيْح في ختمة لم أكملها، وسمعت عليه عدَّة كتب، وأجازني بالإجازة العامة"[2]. فالزواوي[3] شيخ ابن خلدون هو قارِئٌ قسطنطينة بالجزائر في زمانه، ونزيل فاس ومجوِّدها، وفارس الحلبة هذه بلا منازع[4] قرأ على أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي[5] الذي ألّف كتاب: (تهذيب الغافقي) وهو كتاب في قراءة نافع، واسمه كاملًا: (تهذيب الاعتماد في اتباع سبل الرشاد)[6] كما للغافقي شرح على الجمل (شرح جمل الزجّاجي)[7] قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون: "وشرح أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي المتوفي عام (710ه) وهو شرح كبير"[8] .وطالما أن الزواوي قد تتلمذ على يد الغافقي فمن البدَهي أن يكون قد درس هذه الكتب أو اطلع عليها من شيخه، ودرَّسها هو بدوره لتلاميذه ومن ضمنهم ابن خلدون، أو باعتبار أن الزواوي قد تأثّر بأفكار شيخه الغافقي في هذه المؤلفات، وأنّ ذلك التأثر انعكس على من تتلمذوا عليه،

(1) الداني قال فيه ابن خلدون: (أن الغاية بلغها, يعني في القراءات, وتعددت تآليفه بها, فوقف على معرفتها, وأسانيدها انتهت إلى روايته, فعول عليها الناس وتركوا غيرها).*مقدمة ابن خلدون*، 3/ 995.

(2) *رحلة ابن خلدون*، ج:1، ص40.

(3) كانت له نوادر حسنة فاق أقرانه بها، توفي غريقًا بأسطول أبي الحسن المريني، ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، 125/1.

(4) ابن الجزري، *غاية النهاية*، 125/1، ترجمة 580.

(5) أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد الغافقي: هو شيخ النحاة والقراء في سبته, ويعتبر من أكابر أصحاب أبي الحسين بن أبي الربيع, ولد بإشبيلية, عام (641ه) وتوفي عام (716ه). شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*, (المكتبة التوفيقية) ، 611/15, أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت:749هـ) *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* (أبوظبي: المجمع الثقافي، ط:1، 1423هـ) ، 515/27.

(6) أبو عبد الله سيدي محمد بن غازي، *مرويات ابن غازي* ، ص101.

(7) مركز الملك فيصل، *خزانة التراث*، 844/63.

(8) حاجي خليفة، *كشف الظنون*، 604/1.

فيمكننا أن نعتبر كتاب (تهذيب الاعتماد في اتباع سبل الرشاد) للغافقي من مصادر ابن خلدون في القراءات.

وكان الزواوي قد أخذ عن شيخه أبي الحسن بن سليمان القرطبي[1] الذي ألَّف كتابًا في كيفية جمع القراءات اسمه: (تهذيب المنافع)[2] وكذلك من شيوخ الزواوي أبو مروان الشريشي[3] الذي تتلمذ عليه أبو إسحاق إبراهيم التجيبي صاحب كتاب (التبيان) في رسم المصحف وضبطه[4].

والزواوي عنده علو في السند، وله تصانيف في علم القراءات والعربية نظمًا ونثرًا[5], وكان إمامًا في القراءات، وصاحبَ ملكة فيها لا يُجارى[6], قال عنه أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب الذي ألَّف عن حياة أبي الحسن المريني كتابه المشهور (المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن): ثم لزم حضرة العلامة أبي العباس الزواوي الشهير، الذي لم يُرَ في عصره أطيب منه نغمة ولا أحسن منه صوتًا، مع إتقان الضبط وإحكام الروايات وعلو السند، يسرد القرآن مع الغاية في إخراج الحروف من مخارجها، وتوفية أدوات القراءة[7] وفي مكان آخر قال: كان آيةً من آيات الله عز وجل لم أر في المشرق والمغرب نظيرًا له[8]. ولقد سارت بذكر الزواوي الركبان في كل مكان، وغدت طريقته في التجويد والأداء مضرب الأمثال[9]. وذكر أن له من التصانيف في علم العربية نثراً ونظماً وعلم

(1)*هو أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري القرطبي: شيخ الجماعة ونزيل فاس, وكان فيها أستاذاً نحوياً وفقيهاً ويعتبر من آخر الثمار الناضجة الزكية, التي بها جادت البلاد الأندلسية على قاعدة المغرب, مدينة فاس في هذا العهد، وتوفي بحوادث عام (730ه), ابن الجزري، *غاية النهاية*، 544/1، ترجمة 2229.

(2) ابن الجزري، *غاية النهاية*، 544/1.

(3) هو الشيخ أبو مروان عبد الملك بن موسى بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشريشي, تقدم بشيوخ أبي عمران موسى بن حدادة وأيضاً في شيوخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التجيبي صاحب (التبيان) في ضبط المصحف ورسمه.

(4) *درة الحجال*، 94/1-95، ترجمة 136.

(5) ابن الجزري، *غاية النهاية* 125/1 ترجمة 580.

(6) *جذوة الإقتباس*، 122/1، ترجمة 54.

(7) *المسند الصحيح الحسن*، ص121.

(8) ينظر: المسند الصحيح الحسن ، ص 136-137.

(9) ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 196/3-197.

القراءات أيضاً[1] إلا أنّه لم يتم تسمية أي من مؤلفاته في المصادر ولا في كتب القراءات على الرغم مما ذكره له ابن مرزوق. ولعل تصانيفه هذه ضاعت أو غرقت في حادثة غرق سفينة السلطان أبي الحسن المريني تلك النكبة[2] التي ذهب فيها الزواوي ومعه جلة من العلماء والقراء.

يُعدّ طريق الزواوي أبي العباس عن شيخه أبي جعفر بن الزبير عن شيخه أبي الحسن, من أشهر الطرق عند المغاربة في قراءة نافع, ومن أهم الحلقات في أسانيد قراءته، فالإسناد عن طريقه أكثر، وأئمة الإقراء بزمنه لا يكادون يسندون إلا من هذا الطريق، وعلى الأخص في روايتي ورش[3] وقالون[4] وقد أسند الإمام ابن غازي[5] من طريق الزواوي رواية ورش فقال: "حدثنا بها- يعني شيخه أبا عبد الله الصغير النيجي- عن أبي العباس الفيلالي...عن أبي يعقوب الأزرق، عن ورش، عن نافع عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن اللوح، عن القلم، عن رب العزة سبحانه"[6].

يتضح أن المغاربة في قراءة نافع يتبعون طريق الزواوي، بالإضافة إلى ذلك أنه لديه عدة تصانيف في علم القراءات، حيث درس تلاميذه مصنفاته, لذلك تأثر تلاميذه في قراءاته وآراءه.

---

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، 196/3-197.

(2) عاصر الزواوي أصعب المراحل في تاريخ الدولة المرينية في المغرب، والذي يظهر من خلال إدراكه لأبي الحكم مالك بن المرحل (ت699هـ) وروايته عنه, وعندما وقعت النكبة التي توفي بها وكان في السبعين, وكانت على الصحيح بتاريخ ثامن ذي القعدة الحرام سنة (749هـ) درة الحجال 94/1 ترجمة 136.

(3) هو: عثمان نجل سعيد نجل عمرو نجل سليمان، ابن إبراهيم، مولى لآل الزبير نجل العوام، إمام القراءة بالديار المصرية، وكنيته: أبو سعيد، ولقبه، ورش قيل: إن نافعاً لقبه ورشاً تشبيهاً له بالورشان(بفتح الواو طائر يشبه الحمامة لشدة بياضه، وقيل لخفة حركته ولد عام (110ه) في قفط-بلد من صعيد مصر- وأصله من القيروان. ابن الجزري، *غاية النهاية*، 447/1، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت:444هـ) *التيسير في القراءات السبع*، المحقق: اوتو تريزل (بيروت: دار الكتاب العربي، ط:2 1404هـ-1984م) ، 4/1.

(4) هو: أبو موسى عيسى بن مينا الزرقي، مولى بني زهرة الملقب بـ(قالون) قارئ المدينة ونحويها، يقال: إنه ربيب نافع. وقد اختص به كثيرًا، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته؛ فإن قالون باللغة الرومية: جيد، قال قالون: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين ويقول لي: قالون؛ يعني: جيدًا جيدًا بالرومية، كان جد جده عبد الله سُبي من الروم أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ابن جزي الكلبي, *التسهيل لعلوم التنزيل*، 52/1، أبو طاهر السندي، *صفحات في علوم القراءات*، 326/1.

(5)*هو: أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي العثماني المكناسي، الشيخ الفقيه الجليل الإمام النبيه العالم العلامة ترجمان الفقهاء ورئيس النبهاء، من مؤلفاته: (الكليات). ينظر: *كلمة المحقق في مقدمة كتابه الكليات*، ص1.

(6) ينظر: *فهرسة ابن غازي*، ص 36-37، *قراءة الإمام نافع عند المغاربة*، 60/1.

علم رسم الكتابة القرآنية:

إضافة إلى علم القراءة, أضيف علم ترسيم حروف القرآن. ولأن الكتابة القرآنية تختلف عن قواعد الكتابة العربية المعروفة, لذا فهم بحاجة إلى حصر الفروق بين نوعي الكتابة بما ورد في الكتابة القرآنية. كتب أبو عمرو الداني مجموعة من الكتب في هذا الصدد. وأشهرها كتاب (المقنع), بعدها لخصه أبو القاسم بن فِيْرُّه الشاطبي بقصيدة اعتنى الناس بحفظها وتعلّمها, ثم الخلاف اشتد في علوم الترسيم في الكلمات والحروف الأخرى من الكتابة القرآنية, حيث أوردها أحد تلاميذ أبي عمرو الداني وهو ابن نجاح[1], بعدها نظم الخرّاز قصيدةً غيرَها فزاد بها على ما كتبه أبو عمرو الداني، حيث اشتهرت قصيدة الخراز واهتم الناس بحفظها في بلد المغرب.

كما كان لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التجيبي كتاب (التبيان) في رسم المصحف وضبطه[2] والمعروف أنّ التجيبي تلميذ أبو مروان الشريشي[3] شيخ الزواوي الذي تتلمذ عليه ابن خلدون، فيمكن أن نعُد هذا الكتاب من مصادره في علم رسم القرآن.

ورسمُ المصحف كما عرّفه ابن خلدون: "هو أوضاع حروف القرآن في المصحف، ورسومه الخطية لأن فيه حروفًا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط"[4] وقال عن رسم المصحف: لم يصل الخط العربي في بداية الإسلام إلى الدقة والكمال والإتقان. وانظر ما حدث لذلك في رسمهم للقرآن كما رسمه الصحابة, رضي الله عنهم, مع نصوصهم ولم تكن محكمة في الكفاءة, فالكثير من

(1) ينظر: *مقدمة ابن خلدون*، 366/1، أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت: 496هـ) *مختصر التبيين لهجاء التنزيل* (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد, 1423 هـ - 2002م) ، 117/1.

(2) *درة الحجال*، 94/1-95، ترجمة 136.

(3)*هو أبو مروان عبد الملك بن موسى بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشريشي تقدم في شيوخ أبي عمران موسى بن حدادة وكذا في شيوخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التجيبي صاحب (التبيان) في رسم المصحف وضبطه.

(4) *مقدمة ابن خلدون*، ص 438.

رسوماتهم خالفت ما تقتضيه رسومات الخط مع أهله, ثم تتبع أتباع السلف رسوماتهم فيها, تباركاً لما رسمه أصحاب الرسول ﷺ وخير الخلق من بعده[1].

وردّ كلام ابن خلدون كثير من العلماء، قال عبد القيوم السندي: "ذهب البعض من المتأخرين[2] والمعاصرين[3] إلى أن الصحابة لم يتقنوا صناعة الخط والكتابة، فمن ثَم وقعوا في أخطاء أثناء كتابة المصاحف، على رأسهم العلامة ابن خلدون، المؤرخ المعروف"[4], وقال حفني ناصف في معاضدة بقاء الرسم العثماني للمصحف: "ولا نعلم أن أحدًا من العلماء تشكك في هذا الأمر، إلا ابن خلدون في القرن الثامن، وبعض رجال الأزهر في القرن الرابع عشر"[5]. ويرى حفني أن الخطورة من رأي العلامة ابن خلدون تكمن فيما طرحه على جُمّاع القرآن بعدم إجادتهم بقواعد الإملاء, ولعدم تمكنهم من الكتابة الصحيحة, وتأكيده على الأخطاء الإملائية الموجودة بالرسم القرآني[6].

وقال صاحب تفسير المراغي: رسم القرآن الكريم اصطلاحي وليس توقيفيا، لذا يجوز مخالفته. وممن جنح لهذا القول ابن خلدون بمقدمته[7].

ثم قال ابن خلدون: أصبحت كتابة القرآن الكريم صناعة خاصة, وعلماً مفرداً, وكان ينتقل من قِبل الناس في شرق الأندلس جيلاً بعد جيل, وكانت معرفة

---

(1) ينظر: دروزة محمد عزت، *التفسير الحديث* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية,ط:1, 1383ه) ، 134/1.

(2)على رأسهم ابن خلدون المؤرخ المشهور، ينظر قوله في *مقدمة تاريخه*، ص419.

(3) منهم: أحمد أمين في كتابه: فجر الإسلام، ص142، حيث قال: وحتى هؤلاء الذين كانوا يكتبون الوحي لم يكونوا مهرة في الكتابة، ولا كتابتهم سائرة على نمط واحد، ولا خاضعة لقوانين الإملاء، وسبب ذلك- كما يعلله ابن خلدون ضعفهم في صناعة الخط وأنهم لم يبلغوا حد الإجادة فيه. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، *جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين* (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) ، 52/1.

(4) ينظر قوله في *مقدمة تاريخه*، ص419، أبو طاهر السندي، *جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين*، 46/1.

(5) *تاريخ المصحف*، بحث نشر في مجلة المقتطف، أول يوليو 1933م، 8 ربيع الأول 1352، الجزء 2 من المجلد 83، ص 205.

(6) محمد فاروق النبهان، *الفكر الخلدوني من خلال المقدمة*، ص405، محمد فاروق النبهان، *المدخل إلى علوم القرآن الكريم* 159/1- 161.

(7) أحمد بن مصطفى المراغي (ت:1371هـ) *تفسير المراغي* (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده, ط:1 1365هـ- 1946م) ، 13/1.

تهجئة القرآن في هذا العصر مزدهرة وكان الطلب عليها كبيرًا, ولا أَدَلَّ على ذلك من وجود وفرة من ناسخي المصحف ومصنفي علم الرسم[1].

السيرة النبوية الشريفة:

إن المصادر العربية الإسلامية هي المصادر التي سبقت ابن خلدون, وهذا يبدو من خلال تعامله بما ورد بها من روايات أخبار، وهو محلل وناقداً لها, حيث أخذ السيرة من عدة مؤرخين منهم:

- ابن اسحاق[2].
- الواقدي[3].
- المسعودي[4].

تكررت أقوال ابن خلدون عن المسعودي بين القدح والثناء والإعجاب فقال: "وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من الطعن والغمز ما هو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة الثقات"[5], ثم ذكر ابن خلدون نماذج من الأخطاء والأوهام بتاريخ المسعودي.

- الطبري.

---

(1) ينظر: *مقدمة ابن خلدون* ص 437، أبو داود، سليمان، *مختصر التبيين لهجاء التنزيل*، 54/1.

(2)*هو محمد بن إسحاق المطلبي, من أقدم المؤرخين العرب من أهل المدينة، وله كتاب (السيرة النبوية) من تهذيب ابن هشام وهي أصلها جزء من مخطوط كتب عام (506ه) بخزينة أهل قرية فاس, و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ) وكان قدرياً من حفاظ الحديث وزار الإسكندرية عام (119هـ), عاش ببغداد وتوفي بها ودفن في مقبرة الخيزران أم الرشيد، ينظر: الزركلي، الأعلام.

(3)*هو محمد بن عمر الأسلمي أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم مؤرخي الإسلام ومن قراء الحديث، ولد بالمدينة, كان حناطًا (تاجر حنطة) وعندما ضاعت ثروته أنتقل للعراق عام (180هـ) في حكم هارون الرشيد، وتسلم القضاء في بغداد، وبقي بها إلى وفاته, ومن كتبه (المغازي النبوية) و (فتح إفريقية).ينظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 455/9.

(4)*هو علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن (ت: 346ه) من ذرية عبد الله بن مسعود، من أهل بغداد مؤرخ, بحاثة، أستقر في مصر وتوفي بها, كان معتزليًا، ومن تصانيفه: (مروج الذهب) (التنبيه والإشراف) و(أخبار الخوارج) ينظر: الأعلام للزركلي.

(5) *مقدمة ابن خلدون*، ص10، 12.

- ابن كثير[1].

- ابن الكلبي[2].

- سيف ابن عمر الأسدي[3].

- الزُّهري[4].

- ابن حيّان صاحب المقتبس[5].

- ابن حزم[6].

- ابن عبد ربه[7].

- ابن أكثم[8].

---

(1)*هو عماد الدين، أبا الفداء، إسماعيل ولد عمر البصري، مؤلف شرح ابن كثير المشهور, ولد في البصرة وسافر إلى دمشق في العام التالي لوفاة والده عام (706ه), فكان يستمع ويأخذ من علماء دمشق, مثل الآمدي, وابن تيمية الذي تربطه به علاقة خاصة، وابن كثير من بيت أدب وعلم، تتلمذ على يد علماء عصره, ونشأ عالماً ثقة، كثير الاطلاع, في التاريخ والتفسير, وله مؤلفات قيمة أشهرها: (البداية والنهاية في التاريخ) وكتاب (تفسير القرآن العظيم) وهو من أشهر كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب الروايات المنكرة والأقوال الباطلة, وتوفي ابن كثير بعدما كُفَّ بصره، ودفن في دمشق. ينظر: الأعلام للزركلي.

(2)*هو هشام بن محمد أبي النضر بن السائب، أبو المنذر (ت:204ه) مؤرخ، وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كثير التصانيف، من أهل الكوفة، ووفاته فيها، له نيف ومئة وخمسون كتاباً، منها: (جمهرة الأنساب) و(نسب الخيل) و(بيوتات قريش) و(افتراق العرب), ينظر: الأعلام للزركلي.

(3)*هوسيف بن عمر الأسدي التميمي(ت:200ه) أصله كوفي من أصحاب السير، المتوفي ببغداد، من كتبه (الردة) و(الفتوح الكبير) و(الجمل) ينظر: الأعلام للزركلي.

(4) ابن شهاب الزهري القرشي أبو بكر المدني (ت:123ه) ولد عام خمسين، في آخر خلافة معاوية، في السنة التي ماتت فيها عائشة زوجة الرسول ﷺ ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة، أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات، ومجموع أحاديث الزهري هي(2200).

(5)*هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الاموي بالولاء أبو مروان (ت:469ه) مؤرخ، من أهل قرطبة، صاحب لواء الأندلس التاريخي، ومن كتبه (المقتبس في تاريخ الاندلس) طبع جزء منه في سيرة الامير عبد الله الاموي, وله (المبين) في تاريخ الاندلس, وكتاب في (تراجم الصحابة) ينظر: الأعلام للزركلي.

(6) هو علي بن أحمد بن حزم، أندلسي, كاتب وشاعر، فيلسوف وفقيه، ولد بقرطبة ولقب (القرطبي) بسبب ولادته ونشأته, ثم التفت إلى المذاهب البديهية حتى عرف باسم ابن حزم الظاهري, الذي أغنى المكتبة العربية بكتب مفيدة في مختلف مجالات المعرفة, وأبرزها: (باب الملل والأهواء والنحل),(طوق الحمامة),(جمهرة أنساب العرب), نقط العروس, ورسالته في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه. ينظر:الأعلام للزركلي.

(7) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، أبوعمر (ت:328ه) هو إمام, صاحب عهد فريد, من أهل قرطبة كان بن عبد ربه شاعراً له شعر كثير، منه ما سماه (الممحصات) وهي قصائد في الزهد والمواعظ, دحض بها ما قاله في صباه من الغزل وبرز في عصره, وكان من الذين أثروا في أدبهم بعد الفقر، أما كتابه (العقد الفريد) من أشهر الكتب الأدبية.

(8)*هو أبو محمد، يحيى بن أكثم بن محمد التميمي(ت:242ه) المَرْوَزي، نسبة لقبيلة تميم التي ينتمي إليها، وإلى مدينة (مرو) عاصمة خرسان التي وُلد بها، وهومن أحفاد أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية، وكان القضاء من القضاة المعدودون في زمانه ومن ذوي الرتب العالية والمكانة الرفيعة لعلمهم وفضائلهم وقيادته وسياسته في شؤونه وأمر أهل زمانه من الخلفاء وأصحاب السلطان. ينظر الذهبي, *سير أعلام النبلاء*، 432/12.

كما يمكننا أن نعُد الرحَّالة أبو عبد الله محمد بن رشيد[1] الذي صنّف رحلة سماها: "مَلء العَيبة فيما جُمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطَيبة"[2]. وقد تأثر ابن خلدون بمؤرخين عن طريق شيخه الزواوي، ويبدو هذا الأثر بصفة خاصة في كتاب: (التعريف) الذي خصصه للتعريف بنفسه.

كما أخذ ابن خلدون السيرة من شيخه البِلِّفيقي الذي كان متفننًا في آداب الصحابة وشيخ المحدثين والأدباء، والصوفية، والخطباء، بالأندلس، وسيّد أهل العلم بإطلاق[3] وورد بمعجم المؤلفين أن من مؤلفات الواد آشي: برنامج ذكر فيه شيوخه في تونس، وغيرها، ومن لقيه منهم في رحلته إلى المشرق[4].

فابن خلدون يُشيد بهؤلاء المؤرخين والأعلام تارةً، ويُبين سَقَطاتِهم ومَغالِطَهم تارة أخرى، فهو يَمتَدِح المسعودي بعد تقديم عن كتابه مروج الذهب، يقول: "فصار إمامًا

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري شيخ المحدثين الرحالة، وسيد أهل المغرب، كان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع إلى أن توفي. *إكمال الكمال*، 71/4، لسان الدين الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 332/4، *الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب*، 71/4، محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت:488هـ), *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس* (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر, 1966م)، 122/1 ترجمة 54.

(2) يعتبر كتاب (ملء العيبة) من أهم الكتب التي ألفها ابن رشيد, وهذا الكتاب فيه الكثير من الفوائد العلمية, حيث وصلت إلينا نسخة واحدة بخط مؤلفه وهي غير كاملة, باستثناء الجزء الثالث منها, والتي قرأها تلميذة عبد المهيمن الحضرمي, والتي يعرف من خلال التقيدات الموجودة بها, ثم انتقلت ملكية بين عائلات مغربية بارزة مثل عائلة الونشريسي والمنجور, قبل أن تذهب إلى مكتبة دير الإسكوريال بالقرب من مدريد, والمخطوط بسبعة أجزاء حيث ضاع منها اثنان وخمسة منها فقط وصلت إلينا, حسب ماذكره المؤرخون وهي: الجزء الثاني منها يتحدث عن مدينة تونس عند الورود, قام بترجمة الجزء الثالث منه لستة عشر من رؤساء وكتاب وعلماء أهل تونس وسكانه, والجزء الأول الأخير مقطوع, حيث تحدث عن مصر والإسكندرية, وفيه يذكر ابن رشيد مراحل أسفاره المختلفة ويصف رحلاته وأحاديثه مع أصحابه, ويطنب في الحديث عن مناسك الحج, أيضاً عرف بمن لقيهم, وترجم لستة عشر منهم في الحرمين الشريفين, أيضاً في مصر ترجم لعدد من الشيوخ أربعة منهم لقائه بهم تكرر, وفي الأسكندرية ترجم لعدد منهم أيضاً, والجزء السادس يتعلق بالعودة من الإسكندرية إلى تونس, حيث عرف بمجموعة من الأعلام, فمنهم من لقيه في المركب ومنهم اثنين لقيهم في مدينة طرابلس, وآخرين في المهدية, وقسم آخر في تونس لقيهم ومنهم من تكرر لقائه بهم, اما الجزء السابع, تعلق في العودة من تونس إلى سبتة, عن طريق بونه (عنابة) مروراً بمالقة, والجزيرة الخضراء, حيث تحدث في الجزء هذا ابن رشيد عن مروياته وجلساته وتراسلاته وترجم فيه لاشخاص ستة, وختم به رحلته، أما الجزئين الضائعين الأول والرابع, حيث ضم الأول الحديث عن خروجه من سبتة وصولاً لمدينة مرية ثم اللقاء بالسلطان ابن الحكم (ت:807ه), وبعدها دخوله بجاية, فعرف في هذا الجزء ابن رشيد عدد من الشيوخ وعلماء زخرت بهم بجاية, وترجم الغبريني في كتابه لهم (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية) بينما تضمن الجزء الرابع حديثة عن بلاد الشام التي أتجه لها اثناء خروجه من مصر, بعدها انطلق للحجاز وبدا أنه ترجم لعدد ممن لقيهم في طريقه للحجاز وأطلعنا لبعض من أسمائهم ومنهم, الاستدعاء الكبير المطبوع نهاية الجزء الثالث من رحلة ابن رُشيد الفهري السبتي ورحلته ملء العيبة، 7/1.

(3) ينظر: *المقدمة*، 535/7-536.

(4) الزركلي، *معجم المؤلفين*، 146/9، إبراهيم اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، 299/2.

للمؤرخين يرجعون إليه"[1] كما قال عن المؤرخ يحيى بن أكثم, وكان يحيى من أهل الحديث, لذلك يمتدح أسلوبه ودقَّته في النقد، ثم لا يلبث أن ينتقد المسعودي ومَن على شاكلته، ويَردّ عليهم مبالغتهم فيقول: وكثيرًا ما وقع للمؤرخين من المغالط في الحكايات والوثائق؛ لاعتمادهم فيها على النقل, غثًّا أو سمينًا....وهذا ما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين[2].

(1) *المقدّمة*، ص13.
(2) المقدّمة، ص13.

2.2.المبحث الثاني: مصادره من كتب اللغة والنحو

تناول ابن خلدون في مقدمته تصانيف عدة، فكان النصيب الأوفر والجزء الأهم لعلوم اللسان لأن اللسان العربي بني على أركان أربعة، وتم ترتيبها بمراتب مختلفة ومتفاوتة بحسب مقصد المتكلم, وهي اللغة, النحو, البيان, الأدب, ثم وضح أن معرفتها أساسية لأهل الشرعيات[1]. كما وضح ابن خلدون الثمرة الحقيقية والمنفعة الأساسية من دراسة هذه العلوم على وجه الإجمال فيقول: "واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقه ومفهومه، وهي أعلى مراتب الكلام, فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها. وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يُدرِك بعضَ الشيء منه مَن كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته. والذوق عندهم بأوفر ما يكون وأصحِّه"[2].

علم اللغة:

علم اللغة عند ابن خلدون هو بيان الموضوعات اللغوية والمقصود بذلك الدلالات التي وُضعت لها الألفاظ[3], والقدامى أطلقوا عدة مصطلحات, على نظرية جمع المفردة استهلّها أبو الطيب اللغوي[4] في مصطلح (اللغة). ثم قال ابن فارس: "فقه اللغة"[5] وعقبه فيه الثعالبي[6]. وأطلق الرضي الاستراباذي[7] مصطلح علم اللغة، واقتفى أثره أبو حيان النحوي، وابن خلدون. وهذا العلم عند ابن خلدون هو

---

(1) ينظر: *المقدمة*، 760/2، علي عبد الواحد وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص169.

(2) *تاريخ ابن خلدون*، ج:1، ص761.

(3) ينظر: *مقدمة ابن خلدون*، ص 1258.

(4) أبو الطيب اللغوي: هو عبد الواحد بن علي الحلبي، من نحاة القرن الرابع (ت:351ه), ألف (الإبدال),(الأضداد), وكان عالم موسوعي في مراتب النحويين وكلام العرب, ينظر وليد بن أحمد الحسين الزبيدي وزملاؤه، *الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والقراءة والنحو واللغة*، (سلسة إصدارات الحكمة، ط:1، 2003م) ، 1464/2.

(5)*ابن فارس من أشهر علماء اللغة العربية وتوفي عام (395ه), وكتب (تخير الألفاض), (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها), (معجم مقاييس اللغة), ينظر: بدوي طبانة, *البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى*, (مكتبة الأنجلو المصرية, ط:3, 1962م), ص123.

(6) الثعالبي: من أشهر العلماء المهتمين بتدوين اللغة، من مؤلفاته: (الإيجاز والإعجاز وفقه اللغة وسر العربية ويتيمة الدهر) الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 437/17.

(7) الاستراباذي: من النحاة المتأخرين (ت: 688ه), أهتم في شرح المتون مثل: الكافية والشافية في علم النحو والصرف, الزركلي, الأعلام 86/6.

"عبارة عن تاريخ المادة اللغوية بعد استقرائها في مَظانّ الاستعمال، فهو شبيه علم المعاجم في التصور الحديث"[1].

مصادره من كتب اللغة:

لم يُشر ابن خلدون صراحة إلى الكتب التي قرأها في علم اللغة، لكن حديثه عن الكتب المكتوبة عن هذا الفن، وطريقة مؤلفيها، ثم مقارنتها فيما بينها، يُثبت مدى اطلاعه ومعرفته بهذا العلم ومؤلفاته, في البداية تناول ابن خلدون تاريخ هذا العلم بدءاً بالخليل ابن أحمد الفراهيدي الذي كتب "كتاب العين" وأثنى عليه،ثم ذكر أصحاب المعاجم العربية الآخرين. وهذا يبين أن مصطلح "علم اللغة" عند ابن خلدون هو دراسة المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب.

وإن الزواوي شيخ ابن خلدون له تصانيف كثيرة في علم العربية نظمًا، ونثرًا[2] لكن لم تذكر أسماءها، ولم يتم العثور عليها، فربما غرقت معه في حادثة سفينة أبي الحسن[3].

يرى ابن خلدون أن الأذن هي الوسيلة الطبيعية لكل ثقافة لغوية، بل هي أفضل وسيلة لإتقان اللغة وإجادتها، وأن السمع هو أبو الملكات اللسانية[4]. وذهب إلى أن أهل الشريعة بحاجة إلى معرفة علمية باللغة العربية، لأن جميع الأحكام الشرعية مأخوذة من القرآن الكريم والحديث ولغة العرب، وينقلها من الصحابة وأتباعهم العرب, فهم يشرحون مشكلاتها من لغاتهم[5] لاسيّما وأنه قسم العلوم إلى آلية وإلى علوم مخصصة في الذات, ويرى أن علوم اللغة من العلوم الآليّة, واعتبرها وسيلة لفهم علوم الشرعيات فقط, لذا فإن بحث ابن خلدون اللغوي لا يعتبر هدفاً في ذاته, ويرى أن العمل بهذه العلوم شغلا بما لا يعني ومضيعة

(1) ينظر: *مقدمة ابن خلدون*، ص 1258.
(2) ابن الجزري، *غاية النهاية*، 125/1، ترجمة 580.
(3) عاصر أبو العباس الزواوي أخصب الفترات من تاريخ الدولة المرينية في المغرب، ويظهر من إدراكه لأبي الحكم مالك بن المرحل (ت699هـ) وروايته عنه أنه يوم وقوع النكبة التي هلك فيها كان في نحو السبعين، وقد كانت على الصحيح بتاريخ ثامن ذي القعدة الحرام عام (749هـ) *درة الحجال* 94/1، ترجمة 136.
(4) ينظر: *المقدمة*، ص 546 (علم النحو).
(5) ينظر: *المقدمة*، ص 1238.

للعمر[1]. هذه الفكرة أتضحت أيضاً عند التهانوي الذي جعل اللغويات من مسؤوليات الكفاية التي تقع عن الجميع إذا قام البعض بها، فلم يكن علم اللغة إلا طريقة لاستيعاب النصوص الشرعية، أو كما قال التهاوني: "آلة لتحصيل العلم بالشرعيات"[2].

علم النحو:

النحو عند ابن خلدون هو مجموعة من القوانين والمقاييس التي يُقاس الكلام على أساسها. وقد جعل علمَ الإعراب جزءًا من النحو. ويعني هذا أنه يجمع النحو والصرف في مسمَّى النحو[3] وأطلق ابن خلدون مصطلحين مترادفين على الأسس النحوية هما: قوانين العربية والقوانين النحوية[4] وهناك العديد من المواضع عند ابن خلدون تُظهر أن المغاربة والأندلسيين كانوا معتادين في عصره على التعبير عن النحو بمصطلح العربية أو علم العربية. ووصف ابن خلدون كتاب سيبويه بأنه من علم اللغة العربية، وأن ألفية ابن مالك في اللغة العربية أيضاً[5]. وكان ابن خالويه (ت:370ه)، وهو أحد علماء المشرق، قد استخدم عبارة أهل صناعة النحو وذكر ابن خلدون، وهو مغربي، في نفس المعنى عبارة أهل صناعة العربية[6]. ومن كل هذا يتبين أن الأندلسيين والمغاربة كانوا يستخدمون تعبير العربية في الحين الذي بات فيه المشارقة يميلون إلى المصطلح النحوي.

مصادره من كتب النحو:

يقول ابن خلدون: "تعلمت صناعة العربية على يد والدي، وأساتذتي بتونس: منهم الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصايري، وكان إماماً في النحو، وله شرحٌ مستوفي على كتاب التسهيل، ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، ومنهم أبو

(1) ينظر: *المقدمة*، ص1239.
(2) محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي التهانوي (ت:1158هـ) *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, ط:1، 1996م) 73/1، محمود فهمي حجازي، *علم اللغة العربية*، 55/1.
(3) ينظر: *المقدمة*، ص 2004.
(4) *علوم العربية*، 64/1.
(5) ينظر: *المقدمة*، ص1231.
(6) *علوم العربية*، 64/1.

العباس أحمد بن القصار، كان ممتعاً في صناعة النحو"[1] وذكر في موضع آخر أنّه درس كتاب التسهيل على محمد بن بُرّال الأنصاري[2] كما اتضح لي بتتبع شيوخ الزواوي الذي تتلمذ عليه ابن خلدون أن من مؤلفات الغافقي شيخ الزواوي (شرح جمل الزجاجي) وإذا اعتبرنا أن الزواوي قد درس هذا الكتاب لتلاميذه فعليه يمكن أن نعده من مصادر ابن خلدون في النحو.

وكان أبو مروان التجيبي يروي الكامل للمبرد، وحماسة أبي تمام بشرح أبي الفتوح الجرجاني، وقد رواهما عنه أبو عبد الله محمد بن رشيد اليحصبي[3] شيخ الزواوي الذي يقول ابن خلدون: إنّه أَخَذَ عنه شيئاً من النحو، ويشير ابن خلدون إلى أن الوادآشي[4] أجازه إجازة عامة في كتب كثيرة في العربية وترجم العسقلاني للوادآشي قائلًا: عارفًا بالنحو واللغة فيُحتمل أن يكون ابن خلدون أخذ منه النحو. أما أبو العباس أحمد بن القصار فيقول عنه ابن خلدون: "كان ممتعاً في صناعة النحو، وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي"[5].

كما كانت للبِلِّفيقي شيخ ابن خلدون[6] رسائل في ميادين شتّى من (لغة، ونحو، ومنطق...) وقد قرأ البلفيقي على أبي الحسن بن أبي العيش الجمل للزجاجي، وبيان التبريزي، والفقه في خطاب ابن أبي زيد, الذي استند إلى كتابات الشاعر، شهير

---

(1) *رحلة ابن خلدون*، 38/1.

(2) ابن تغري بردي، *المنهل*، 206/7.

(3) أبو الحسن علي بن إبراهيم الأنصاري (ت:571هـ) *القرط على الكامل*، وهي الطرر والحواشي علي الكامل للمبرد، 60/1.

(4) محمد بن جابر بن قاسم القيسي الواد آشي الاصل، المالكي التونسي، شمس الدين أبو عبد الله، مولده سنة عشر وستمائة، نحوي محدث فقيه قارئ، أخذ عنه لسان الدين الخطيب، رحل لتونس وفيها تفقه، ثم دخل القاهرة وحج ودخل بلاد الشام والعراق، وقرأ لأبي عمر والسخاوي، وسمع منه الشاطبية وسمع من ابن القبيطي وعز الدين وعاد للأندلس، وسكن في تونس وتوفي فيها عام (694ه). ينظر: بن تغري بردي، *المنهل*, 203/4، لسان الدين الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 152/2، رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 146/9.

(5) *رحلة ابن خلدون*، 38/1.

(6) محمد بن محمد أبو البركات البلفيقي، كما يعرف بابن الحاج قاضي الجماعة بغرناطة وأحد الأعلام (680-771) وكان مولعا بالتنقل للقاء المشيخة وطلب الإسناد العالي حتى روي عن الكبار في المغربين الأقصى والأوسط وحواضر الأندلس، وكانت روايته عن أبي الحسن علي بن سليمان عام (726هـ) انتشرت الرواية عنه بالأندلس كما انتشرت بالمغرب على السواء, *قراءة الإمام نافع عند المغاربة*، 139/1. العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، 416/5، ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، 179/1.

المقامات أبي عبدالله بن خميس, وله مصنفات، منها: تاريخ المرية والعلن في أنباء أبناء الزمن, وله شعر جيد [1].

البيان (البلاغة):

يقصد به عند ابن خلدون علم الفصاحة الذي يتألف من ثلاث شعب رئيسية: علم المعاني وعلم البيان، وعلم البديع. وبهذا أطلق ابن خلدون على العلم الإجمالي تسمية أحد شُعَبه، وهو (علم البيان).

ونوّه ابن خلدون إلى منفعة العلوم البلاغية قائلًا: "واعلم ثمرة هذا الفن إنما هي فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه يجمع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها"[2].

استمد ابن خلدون من مشايخه آراءه بما يتفق مع أهوائه، وليس أقلها تعابير بعين الاستهجان والاستنكار لكثرة البديع من بعضها, فكان شيخه أبو البركات البلفيقي وهو أحد الذين يُعارضون التفنّن في البديع، وقد حذر تلامذته حين دعا إلى عدم تعاطي هذه الصنعة فيكلفون فيها وينسون البلاغة[3] ويتمنى لو أنَّ الدولة توقع العقاب القاسي فيمن ينتحل فنون البديع في انضباطه أو نثره وأن تُعرِّضه للتجريح[4] وقد اعتبر ابن خلدون شيخه من أصحاب الأذواق في البلاغة الذين يسخرون من كلفهم بهذه الفنون (المطبوع) و(المصنوع) ويعدّون ذلك من القصور عن سواه.

أما شيخه الشريف السبتي فيقول: "هذه الفنون البديعية إذا وقعت للشاعر أو للكاتب فيقبح أن يستكثر منها، لأنها من محسنات الكلام ومزيناته، فهي بمثابة الخِيلان في الوجه يحسن بالواحد والاثنين منها ويقبح بتعدادها"[5] وإذا كان هذا هو رأي الشيوخ من الزاوية النظرية فان ابن خلدون طبقه من الناحية العملية حين اختار

---

(1) ينظر: شمس الدين الغزي، *ديوان الإسلام*، 37/1، العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، 417/5.

(2) شمس الدين الغزي، *ديوان الإسلام*، ص256.

(3) ينظر: *المقدمة*، 802/1.

(4) ينظر: *المقدمة*، ص1311.

(5) إحسان عباس، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، 617/1.

الأسلوب المرسل[1] قال حينما صيره الحاكم أبو سالم كاتب السر: وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل، أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع، لضعف انتحالها وخفاء العالي منها على أكثر الناس بخلاف المرسل، فانفردت به يومئذ، وكان مستغرباً عندهم بين أهل الصناعة[2].

مصادره من كتب البلاغة:

لم يذكر ابن خلدون صراحةً الكتب التي قرأها في علم البلاغة، ولكن من خلال حديثه عن الكتب المؤلفة في هذا الفن ومنهج واضعيها، ثم المقارنة بينها، حيث أنه يؤكِّد ويدل بما لا يدع مجالًا للشك على مدى إلمامه بهذا العلم واطِّلاعه على مؤلفاته، فنجده يقول: ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى، وكتب فيها جعفر بن يحيى، والجاحظ، وقدامة، وأمثالهم، إملاءات غير وافية فيها، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا إلى أن مخض السكاكي زبدته وهذَّب مسائله ورتَّب أبوابه- على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب- وألَّف كتابه المسمى بـ (المفتاح) في النحو والتصريف والبيان، فجعل هذا الفن من بعض أجزائه، وأخذه المتأخرون من كتابه ولخَّصوا منه أمهاتٍ هي المتداولة لهذا العهد، كما فعله السكاكي في كتاب (التبيان) وابن مالك في كتاب (المصباح) وجلال الدين القزويني في كتاب (الإيضاح والتلخيص) وهو أصغر حجمًا من الإيضاح، وممن ألَّف في البديع من أهل إفريقية ابن رشيق، وكتاب (العمدة) له مشهور، وجرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاه[3].

أما المصادر غير المباشرة فيُعتبر ابن رَشيد شيخ الزواوي من أهل المعرفة بصناعة العربية وعلم البيان, والآداب, والعروض والقوافي[4]. ولا شك أن ابن خلدون تأثر بمعارفه هذه من طريق شيخه الزواوي.

علم الادب:

يقول ابن خلدون في حد الأدب: "هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني

(1) المصدر نفسه، 617/1.
(2) *التعريف*، ص 70.
(3) *تاريخ ابن خلدون*، 762/1.
(4)علي إبراهيم كردي، *ابن رُشيد الفهري السّبتي ورحلته ملء العيبة*، 5/1.

المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة"[1] من شعر متقدم عالي، وسجع مُتساو في الكفاءة[2] وقضايا اللغة والقواعد مبثوثة خلال ذلك ومتنوعة يثبت منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، وذكر البعض من أيام العرب حتى يفهم به ما يحصل بأشعارهم منها، مع ذكر الأنساب المشهورة والمهمة, والعامة من الأخبار لاسيّما أنه قصد أن لايخفى على القارئ فيه شيء من الكلام والأسلوب البلاغي للعرب, وإنهم إذا كانوا يريدون الحد من هذا الفن قالوا: "الأدب هو حِفظ أشعار العرب وأخبارهم وأخذ من كل علم بطرف"[3].

مصادره من كتب الأدب:

ذكر ابن خلدون أمهات الكتب في الأدب بصورة تُوحي بمعرفته الجمّة بها وبمناهج مؤلفيها، إذ يقول: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها"[4] وتفصيلها كالآتي:-

- أدب الكاتب لابن قتيبة[5]:
- كتاب الكامل للمبرد[6]:
- كتاب البيان والتبيين للجاحظ[1] وهو أول كتاب ظهر في الأدب جامعًا لفنون كثيرة من ضروبه ويشيد به أبو هلال، ويعده ابن خلدون من أركان الأدب، وأن هذا

---

(1) *المقدمة*، 256/2- 257.
(2) ينظر: *المقدمة*، ص488.
(3) ينظر: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ) *تاريخ آداب العرب*، دار الكتاب العربي، 22/1.
(4) *مقدمة البيان والتبيين*، ص1.
(5) هو أبو محمد بن قتيبة, في الكوفة وُلد, وفي بغداد عاش, تولَّى القضاء بدينور لذلك اشتهر بالدينوري, واهتمَّ بإعجاز القرآن لذلك ألف تأويل مشكل القرآن وأيضاً اهتمَّ في الأدب فألف (الشعر والشعراء), وكذلك اهتمَّ في التاريخ فألف (عيون الأخبار), الزركلي الأعلام, 296/13.
(6) هو محمد بن يزيد المبرد (ت: 286ه) صاحب كتاب (الكامل) في الأدب. ينظر أبو عبيد البكري (ت:487ه) *سمط اللآلي في شرح أمالي القالي*، بتحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط:1, 1936م) ، ص34.

الكتاب: "يبحث في فنون الأدب والبلاغة ويتناول النقد واللغة، ويأتي على ذكر الخطباء والأدباء والشعراء والمنشئين وآثارهم الأدبية وهو من أجلّ وثائق الأدب في الجاهلية والإسلام"[2].

- كتاب النوادر لأبي القالي البغدادي[3].

وقد جعل ابن خلدون الغناء داخل هذا العلم بقوله: "وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لمَّا هو تاج للشعر، إذ الغناء إنما هو تلحينه"[4] حيث جعل ابن خلدون الأدب علماً تابعاً، أو علماً مساعداً لغاية صريحة، وهي لدعم أسرار العربية ومؤازرتها, لشرح وامتلاك معنى النص الديني.

الشعر:

يرى ابن خلدون أن الشعر نشاط إنساني عام، وليس شيئاً يتميز به العرب، وهو يعلم أن في الفرس شعراء وفي اليونان كذلك[5] فقد تحدَّث ابن خلدون عن القصيدة ومكوّناتها وموضوعاتها، وشرف الشعر عند العرب، وعرّف الشعر بقوله: "الشعر هو الكلام البليغ المبنيُّ على الاستعارة والأوصاف المفصَّل بأجزاء متَّفقة في الوزن والروي، مستقلٌّ كلُّ جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"[6]، ووضع وابن خلدون فصلًا تحت عنوان: أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد, وأن هذا الفصل سوف يبقى ذا أهمية يضطر الباحثين للرجوع إليه والاعتماد عليه لأنه تعرض فيه لفنون الشعر العامي في عصره هو، أي في القرن الثامن الهجري، وتوسع فيما نقل من نصوص عن

---

(1) هو عمرو بن الجاحظ أبو عثمان, عرف في غزارة علمه وبلاغة قوله وقوّةِ حُجّتِهِ, وله كتب عدة في الأدب مثل كتاب (الاضداد) وكتاب (المحاسن) وغيرها من الكتب, ينظر: ابن النديم, محمد بن يعقوب إسحاق أبو الفرج (ت: 428ه) *الفهرست* (بيروت: دار المسيرة, ط:2), ص28-212, وابن خلكان, *وفيات الأعيان*,480/2.

(2) القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، 143/1.

(3) هو أبو علي إسماعيل بن قاسم (ت:356) عاش مابين أواخر القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع, اهتمَّ في علوم الحديث والأدب واللغة, ومن أهم مؤلفاته: (البارع في غريب الحديث) وأيضاً له (الأمالي). ينظر: ترجمته في *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* 70/3, *طبقات الزبيدي*، ص202، *وابن الفرضي* 3/1، *والجذوة*، ص154، وأحمد بن يحيى الضبي، *بغية الملتمس*، ص 547، وفهرسة ابن خير, ص395، وابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 204/1، والقفطي، *إنباه الرواة*، 204/1، وياقوت الحموي، معجم *الأدباء* 25/7، والذهبي *شذرات الذهب*، 18/3، وبروكلمان، 277/2 (الترجمة العربية) والزركلي، *الأعلام*، 321/1.

(4) *المقدمة*، 257/2.

(5) ينظر: إحسان عباس، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، 628/1.

(6) ينظر: إحسان عباس، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، 400/2.

المغرب، وسيظل له مع ذلك الإطار العقلي الذي وضع فيه ابن خلدون الفصل كله شاهدًا على امتيازه وتفوقه وحسن إدراكه.

أما بالنسبة لطريقة النظم عند ابن خلدون فإنه يرى أن المرء بعد أن يرتاض من حِفظ الشعر سوف تترسخ قوالب معينة في ذهنه. وإذا أراد تنظيم قصيدة فما عليه إلا أن يستحضر القوالب في نفسه بعدها يملؤه بقوالب صغيرة أو تراكيب من النظم[1].

مصادر ابن خلدون من الشعر:

ذكر ابن خلدون في التعريف بنشأته أنّه لازم مجلس أبي عبد الله بن بحر إمام العربية والأدب بتونس، وأفاد عليه، وكان بحراً وافراً في علوم اللغة، وأشار عليه بحفاظ الشعر، فحفظ مصنف الأشعار الستة[2], و(المعلقات) و(حماسة الأعلم) وهذا الشرح قام به الأعلم الشنتمري الأندلسي، وشعر حبيب بن أوس، وكان ابن خلدون يشير إلى أهمية شعر أبي تمام لمن يروم تعلم اللسان العربي[3], "وطائفة من شعر المتنبي، وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري"[4], ومن الأشعار الواردة بكتاب الأغاني[5], لأبي الفرج الأصفهاني والذي نقل عنه ابن خلدون نصوصًا طويلة نجدها بالكتاب الأول من العبر، وخاصة بفصل: أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء.

وورد بمعجم المؤلفين أن من مؤلفات الوادآشي شيخ ابن خلدون (ديوان شعر في مجلد كبير)[6] فلاشك أن ابن خلدون قد قرأه أو اطلع عليه، أما شيخه أبو العباس

(1) ينظر: إحسان عباس، *تاريخ النقد*، 623/1.
(2) الأشعار الستة هي: شعر امرىء القيس، والنابغة، وعلقمة، وعنترة، وزهير، وطرفة، وقد صنع دواوينهم الأصمعي، ورواها عنه أبو حاتم السجستاني، ونقلها أبو علي القالي إلى الأندلس، وقد شرح هذه الأشعار عدد كبير من العلماء، منهم الأعلم الشنتمري (ت:476) فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي- الجزء الأول في علوم القرآن والحديث، نقله الى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى، وسعيد عبد الرحيم (ادارة الثقافة والنشر بالجامعة: 1411ه- 1991م)، 109/2.
(3) ينظر: *المقدمة*، 1169/3.
(4) ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 206/7.
(5) ينظر: *رحلة ابن خلدون*، 38/1.
(6) رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 146/9، ابن فرحون، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، 299/2.

أحمد بن القصار فله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي[1] كما اتضح لي بتتبع سيرة شيخه البلفيقي[2] أنّه أخذ عن أبي عبد الله بن خميس الشاعر المعروف ، وله شعر جيد[3] . فمن شعره:

جزى الله إخوان الخيانة إنهم ... كفونا مؤونات البقاء على العهدِ

فلو قد وفَوا كنا أُسارى حقوقه ... نُراوح ما بين النسيئة والنقدِ[4]

أما ابن رشيد: أستاذ الزواوي شيخ ابن خلدون فقال عنه البلفيقي: "وإلى جانب غزارة علمه كان شاعرا مُجيدًا تصرّف في غير ما موضوع, وبعض أشعاره منثور في رحلته, وفي بعض مصادره"[5].

واجتمع هذا إلى ما حفظه ابن خلدون من القرآن, والفقه, والأحاديث, والعربية، وما في بعض هذه العلوم من المتون، كقصيدتي الشاطبية والصغرى الكبرى في القراءات[6] وإن كان يقرّ بأن محفوظه كان قليلًا[7] ولكن هذه القلَّة كانت مهمة في ذاتها، فإن اقتصاره مثلاً على كتاب الأغاني (في باب الكتب الأدبية) لاسِيَّما إنه وضعَ لهذا الكتاب شَأْنٌ خاصًا في ذاته حتى قال فيه: فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم، وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملَّتهم العربية، وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر مغانيهم، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب[8] ومثل هذا الحكم لا يرد إلا عن نقص المحفوظ، غير أن المصون أيًّا صار معياره هو الذي قدم لابن خلدون فكرة مستتبة حول ماهية الصناعة الأدبيَّة من نظم أو نثر، وقد أبتدأ ابن خلدون من واقع المعرفة في زمانه، فأبصر أن التأليف موهبة لم تعُد تتألف سليقة؛ لأن الناس يتدارسون اللغة دراسةً، وأن العامل الذي يشكل تلك الموهبة هو

---

(1) ينظر: *رحلة ابن خلدون*، 38/1.

(2) شمس الدين أبو المعالي بن عبد الرحمن الغزي (ت: 1167هـ) *ديوان الإسلام*، المحقق: كسروي حسن (لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1411هـ - 1990م)، 37/1، العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، 417/5.

(3) العسقلاني، *الدرر الكامنة*, 417/5، شمس الدين الغزي، *ديوان الإسلام*، 37/1.

(4) شمس الدين محمد أبو الخير ابن الجزري، (ت: 833هـ) *غاية النهاية في طبقات القراء* (مكتبة ابن تيمية، ط:1, عني بنشره اول مرة,1351هـ -ج. برجشتراسر)، 380/1.

(5) علي إبراهيم كردي، *ابن رُشيد الفهري السّبتي ورحلته ملء العيبة*، 5/1.

(6) ينظر: *المقدمة*، 1305/2.

(7) ينظر: *المقدمة*، 1305/2.

(8) ينظر: *المقدمة*, 1285/2.

الحفظ[1] فمن شاء أن يكون شاعراً صار لابد له من أن يحفظ عينات من الشعر العربي حتى تتربى في النفس موهبة ينسج على أسلوبها[2].

شعره:

نشأ ابن خلدون, بسبب محفوظه الشعري الأصيل, وكان قادراً على قول الشعر ولكنه لحظ أنه يحس بصعوبة في الأبيات الشعرية كلما حاول النظم, وحدَّث لسانَ الدين ابن الخطيب بهذا الذي يعتريه، ثم علل ذلك التعسر بالتزاحم بين محفوظه الأصيل من الفن الشعري وحفظه للمتون والقصائد التعليمية، فقال: "فامتلأ محفوظي من ذلك وخدش وجه الملَكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب، فعاق القريحةَ عن بلوغها، فما كان من لسان الدين إلا أن أبدى إعجابه الكبير بهذا الرأي قائلاً: لله أنت! وهل يقول هذا إلا مثلك"[3] لأنه وجد في الرأي إنصافاً للذات وصواباً في التعليل[4].

وقال ابن الخطيب عن نظم ابن خلدون: وأما نظمه فنَهَضَ لهذا العهد قدما في ميدان الشّعر ونقده باعتبار أساليبه؛ فانثال عليه جوّه، وهان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبة، ومن ذلك مقولته وهو يكلم سلطان المغرب في ليلة الميلاد الكريم سنة (762ه)[5] بقصيدة طويلة[6]:

أسرفن في هجري وفي تعذيبي ... وأطلن موقف عبرتي ونحيبي

وأبَيْنَ يومَ البَينِ موقف ساعة ... لوداعِ مشغوف الفؤاد كئيب

لله عهد الظّاعنين وغادروا ... قلبي رهين صبابة ووجيب

غربت ركائبهم ودمعي سافح ... فشَرِقتُ بعدهمُ بماء غروبي[7]

(1) ينظر: إحسان عباس، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، 619/1.
(2) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 619/1.
(3) لسان الدين الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 381/3.
(4) إحسان عباس، *تاريخ النقد*، 622/1.
(5) لسان الدين الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 3/ 387.
(6) البيت من بحر الكامل.
(7) ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، 209/7.

يقول ابن خلدون: "وكذلك أشعارهم، كانت بعيدة عن الملكة، نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك لهذا العهد، ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق، وابن شرف، وأكثر ما يكون الشعراء فيها طارئين عليها"[1].

يتضح مماسبق أن ثقافة ابن خلدون كانت عاملاً أساسياً في إدارة أفكاره والآراء النقدية في مختلف المسائل والمحفوظات, بالإضافة إلى الآراء الخاصة به في اشعار أهل المغرب.

(1) *المقدمة*، ص 565.

3.2.المبحث الثالث: مصادره من كتب الفقه.

مصادره من كتب الفقه:

خصّ ابن خلدون في الفصل السادس الذي يتحدث عن العلوم وأنواعها, والتعليم وطرقه وأوجهه المختلفة, وما يعرض من جميع الأحوال, كما خص الفصل السابع من هذا الباب في علم الفقه وما تبعه من الفرائض[1].

عرف ابن خلدون الفقه بقوله: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب وما نصه الشارع لمعرفته من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[2].

وكان ابن خلدون قد ذكر أنّه أخذ الفقه في تونس, من أبي عبد الله محمد الجياني, وأبي القاسم بن القصير، وقرأ عليه كتاب التهذيب في اختصار المدوّنة لأبي سعيد البرادعي كذلك مختصر المدوّنة, وكتاب المالكية, وتفقه عليه، فانتابَ مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام واستفاد منه، وسمع وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن سليمان البسطي، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، وأبي العباس أحمد الزواوي، واستفاد من القاسم عبد الله بن يوسف المالقي، وطائفة أخرى[3].

آراء ابن خلدون في أئمة الفقه:

(1) مناع القطان (ت:1420هـ) *تاريخ التشريع الإسلامي* (مكتبة وهبة، ط:5، 1422هـ-2001م)، 7/1.
(2) ابن خلدون، المقدمة، ص445، عبد الحق بن غالب أبو محمد الأندلسي المحاربي (ت:542هـ) *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، المحقق: عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية, ط:1، 1422هـ)، 24/1.
(3) ابن تغري بردي، *المنهل*, 206/7.

لابن خلدون آراءه الخاصة في أئمة الفقه، فنجده يقول: "وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق، ومسلمة الهند والصين، وما وراء النهر وبلاد العجم كلها"[1] وأما أحمد بن حنبل فمُقَلِّده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد[2] وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظًا لِلْسُنَّةِ ورواية الحديث وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورًا بَيِّنًا إلى القرن السابع, وعلله السيوطي في حسن المحاظرة في قولة: هم قليل جداً في الديار المصرية وما سمعت بخبرهم وهم بها ابداً إلابعد القرن السابع, والإمام أحمد كان في القرن الثالث، ولم يظهر مذهبه خارج العراق حتى القرن الرابع، عندما حكم سلطان العبيديون مصر، وقضوا على أفكار ثلاثة أئمة من الطائفة بالقتل, والنفي, والتهجير, ولم ينسحب هنا أئمة جميع الطوائف حتى نهاية القرن السادس وتراجع إليها الأئمة من المذاهب جميعها, وأن الحافظ عبد الغني المقدسي الذي له كتاب (العمدة) هو أول الحنابلة وصل مصر[3] وقال: "إن الحنفية أهل البحث والنظر، أما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرًا وكان من أحسن كتابة فيها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي"[4] ثم قوله: "وأما المالكية فليسوا بأهل نظر"[5] ويعد إمام الحرمين أحد أركان علم الأصول الأربعة[6].

ويرى أن السبب الذي جعل الشافعي يكتب في علم أصول الفقه هو الخلاف والنزاع الذي كان متواصلاً بين الفقهاء في الحجاز والفقهاء في العراق, أو فيما بين أهل الحديث والرأي, ووجد أن أصحاب الرأي لهم حجج وقوة بحث ونظر وجدال، ولكن أسرفوا في الطعن لأئمة الحديث وأهله والتقليل من قيمتهم وقدرهم, من خلال الرد

---

(1) *المقدمة*، 1052/3، محمد بن عبد الرحمن الخميس، *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة* (السعودية: دار الصميعي), 99/1.

(2) على جمعة عبد الوهاب، *المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية* (القاهرة: دار السلام، ط:2، 1422هـ-2001م)، 100/1.

(3) أحمد بن إسماعيل بن تيمور (ت: 1348هـ) *نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة: (الحنفي، المالكي، الشافعي الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين*، تقديم: محمد أبو زهرة (بيروت: دار القادري للطباعة والتوزيع والنشر، ط:1, 1411هـ-1990م)، 82/1.

(4) *مقدمة ابن خلدون*، ص 361.

(5) على جمعة، *المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية*، 100/1.

(6)*المقدمة*، ص 457، عبدالملك بن عبدالله الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت:478هـ) *نهاية المطلب في دراية المذهب*, بتحقيق: عبد العظيم محمود الدّيب (دار المنهاج: ط:1، 1428هـ-2007م), ص198.

على رأيهم ومذهبهم، وأيضاً وجد أن جمهور المحدثين وخاصة من هم موجودون بالعراق عندهم شيء من الضعف في الاستدلال، وهم لم يستطيعوا الانتصار لمذهبهم والدفاع عنه والصمود في وجوههم والرد عليهم[1].

وذكر ابن خلدون في كتابه: (التعريف) عن تلامذته، والشيوخ الذين أخذ عنهم أنه كان يُوجه إلى الفقه المالكي أكبر قسط من جهوده في مختلف مراحل حياته، وأنه درس أهمَّ ما أُلف في هذا المذهب من كتب قديمة وحديثة، وأخذها عن مشاهير فقهاء المالكية في المغرب في ذلك العهد، فأخذ من مشايخه الذين درس عليهم الفقه كتبًا عديدة في هذه الطائفة، منها:

- مختصر ابن الحاجب في الفقه، وعليهما شرح لابن عبد السلام، وابن هارون،وهما من مشيخة تونس.

- كتاب المدوّنة لسحنون.

- كتاب الواضحة لابن حبيب.

- العتبيّة للعتبي: ذكر ابن خلدون أن كتاب (العُتْبيَّة) أو (المستخرجة من الأسْمِعَة) لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد العتبي (ت:255), وهي ثالثة الأمّهات والدّواوين، وقد اهتم ابن رشد بشرحه وبيانه، ومقارنة ما فيه من الآراء الفقهية بأقوال فقهاء آخرين، فجاء شرحه موافقاً لعنوان كتابه البيان والتحصيل، وقد اعتمد عليها القاضي عياض في الاستدلال ببعض السماعات[2] ثم يقول: اعتمد أهل الأندلس كتاب العُتْبيَّة وهجروا الواضحة فالعُتْبيَّة كتاب اعتمد عليه أهل الأندلس القدماء ورؤساء قرى الأندلس وأنهم: اعتقدوا أن من لم يحفظه ولم يتفقه به كحفظه للمدوَّنة

(1)محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت:333هـ), *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*. المحقق: مجدي باسلوم (لبنان: دار الكتب العلمية, ط:1، 1426هـ - 2005م), 66/1.
(2) السبتي، *التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة*، ص166.

وتفقُّهه بها، بعد أن يعرف الأصول وحفظه لسُنَنِ رسول الله ﷺ فهو ليس من الراسخين بالعلم, وأيضاً لا يشار لهم من أهل الفقه[1].

- الأسدية لأسد بن الفرات.
- مؤلفات ابن يونس وبن محرز التونسي.
- كتاب النوادر لأبي زيد.
- التَّهذيب لأبي سعيد البرادعي[2].
- المُوَطَّأ للإمام مالك.
- مختصر المدونة.
- المقدّمات الممهدات لابن رشد الجد[3].

- (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد الحفيد[4].

البرهان:

عدَّ ابن خلدون كتاب (البرهان) لإمام الحرمين أحد الكتب الأربعة التي قام عليها علم أصول القفه، وإليها ترجع معظم المؤلفات في هذا العلم، ويقول ابن

---

(1) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت:450هـ), *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة*، حققه: محمد حجي وآخرون (لبنان-بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:2، 1408هـ - 1988م)، *المقدمة*، 29/1، محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي (ت: 543هـ), *المسالِك في شرح موطأ مالك*، علّق عليه: محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، قدَّم له: يوسف القرضاوي (دار الغرب الإسلامي, ط:1، 1428هـ - 2007م) ،233/1.

(2)*خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي، أبو سعيد ابن البراذعي فقيه، من المالكية, وفي القيروان ولد وتعلم، فتجنبه فقهاؤها بسبب اتصاله بسلاطينهم، وانتقل إلى صقلية واتصل مع أميرها وصنَّف كتباً عنده، منها: التهذيب في اختصار المدونة:، واختصار الواضحة، وبعدها ذهب إلى أصبهان فدرس فيها الأدب إلى وفاته. ينظر: الأعلام للزركلي.

(3) محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد: قاضي مجتمع قرطبة من شخصيات المالكية, فيلسوف ولد بقرطبة، ونشأ وتعلم بها على يد علماء أندلسيين، أخذوا عنه الكثير من الطلاب الأندلسيين والمغاربة، وكان كريماً عفيفاً, لقد آمن به أهل قرطبة بشكل خاص وأحبوه, لأنه كان إمامهم في المسجد الكبير، ورأوا فيه العالم بالشريعة المتحلي بها، ومن مؤلفاته: البيان والتحصيل، المقدمات الممهدات، نوازل ابن رشد في مجلد ضخم- جمعها تلميذه أبو الحسن ابن الوزان، وتسمى أيضاً الفتاوى، والأجوبة. ينظر: الموسوعة العربية العالمية.

(4) محمد بن أحمد بن رشد, أبو الوليد الأندلسي: فيلسوف، من أهل قرطبة، أطلق عليه الفرنجة اسم (Averroes) في كلام أرسطو الذي ترجمه بالعربية، وأضاف إليه العديد بما في ذلك بعض كتاباته مثل: (فلسفة ابن رشد) ويشتمل على بعض من مصنفاته وتسميته حديثة, (التحصيل) على اختلاف تعاليم العلماء (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) اتهمه خصومه بالهرطقة والإلحاد، فأغوا به منصور، فنفيه إلى مراكش، وأحرقوا بعض كتبه، ثم أذن له بالرجوع إلى وطنه, ثم توفي في مراكش ونقل جثمانه إلى قرطبة, دُعي ابن رشد (الحفيد) لتمييزه عن جده أبو وليد محمد بن أحمد,(ت:520ه),ينظر: الأعلام للزركلي.

خلدون: "ولا بدّ لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد، إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته"[1].

شرح التلقين:

قال عنه ابن خلدون: ليس للمالكية مثله وفي حين أن تفسير البرهان لأبي المعالي سماه إيضاح المحصول من برهان الأصول, فإن تفسيره للكتابين يظهر أنه وصل إلى مستوى الاجتهاد والمعلم في تفسيره لصحيح مسلم. قال ابن خلدون: "اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه"[2].

كما نجده من خلال مقدِّمته يتحدث عن كتب يبدو أنّه قد قرأها، وإلا لما تحدَّث عنها حديث العارف بها الملّم بقراءتها، ومثال ذلك حديثه عن كتب الحنفية وذلك عند قوله: وأما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيراً. وكان من أحسن كتابة المتقدمين فيها تأليف أبي زيد الدبوسي، وأحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البزدوي من أئمتهم، وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الأحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمَّى كتابه بـ(البدائع) فجاء من أحسن الأوضاع وأبدعها، وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءةً وبحثاً، وأُولع كثير من علماء العجم بشرحه[3].

كما استفاد ابن خلدون من لقاء شيخه أبي البركات البِلِّفيقي في الكثير في من مجالات المعرفة ويذكر على وجه التحديد، وأن شيخه في موطأ مالك كان سنده في رواية يحيى بن يحيى الأندلسي، حيث كان يحضر حلقات الدروس في مسجد القَرَويين في مدينة فاس بمناسبة أخرى عام (762ه-1361م) لاسيّما وأنه نُقل عنه أمام تلاميذه في مصر, وأن العسقلاني أشار إلى أن ابن خلدون يحترمه ولا يقدم أحداً عليه, فهو فقيه وقاضٍ قبل كل شيء, نقلاً عن كثير من مؤلفاته وخطاباته الضخمة

(1) *المقدمة*، ص 457، عبد الملك الجويني، *نهاية المطلب في دراية المذهب*، ص198.
(2) محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، 187/1.
(3) ينظر: *رحلة ابن خلدون*، 40/1.

التي وصلنا منها كتاب واحد فقط: القواعد الفقهيّة ونظّم به 1200 قاعدة، وكتاب: الكليات الفقهيّة وضع به 525 كلية، وكتاب: الحقائق والرقائق في التصوف.

4.2.المبحث الرابع: مصادره من كتب الحديث

السنـة وعلـومـهـا عنـد ابـن خـلـدون:

أجرى ابن خلدون دراسة طويلة في هذا المجال، بدءاً في بيان أقسام الحديث وأنواعه وناسخه ومنسوخه والنظر في الأسانيد, ومعرفة الحديث الذي يجب العمل به, ومعرفة الراوي في الحديث عن العدالة والدقة, بما يثبت من نشر الشخصيات الدينية وتعديلها أو تجريحها من خلال معرفة الطبقات والمراتب الذين ينقلون الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم, والتابعين ومن بعدهم، فهو يحدد مرتبة الحديث, الحسن, الصحيح, المرسل, الغريب, الضعيف, الشاذ, وذكر أن هذا العلم مبني على جزأين:

- الجزء الأول في الناسخ والمنسوخ: ويأتي النسخ هنا للتيسير والاهتمام بالمصلحة, واللاحق منه ينسخ المتقدم وما يتعارض معه, وأن النسخ يعتبر من أهم علوم الحديث, ولكن أصعبها.
- الجزء الثاني معرفة الأسانيد: هو معرفة الحديث الواجب العمل به, حيث لابد للعمل بما يرجح أن يصح في الأحاديث, أي التخمين بأن رواة الحديث معروفون من العدل والدقة والجرح والغفلة, أي هل هو ثقة أو لا؟ فضلاً عن تباين سلسلة الرواة وتمييزها من خلال ارتباطهم أو انقطاعهم, أي أن الراوي لم يقابل الراوي الآخر الذي يروى منه ولديهم مصطلحات في هذا على مستوى الحديث مثل, الصحيح, المرسل, الضعيف, المنقطع, الشاذ, الغريب, وغيرها[1].

أئمة الحديث:

(1) ينظر: *المقدمة*، 641/1, هاني محمد, *ابن خلدون فقيهاً*, 16/1.

ذكر ابن خلدون أن أهل الحجاز ثقة بالحديث أكثر من غيرهم, وكان رواة الحديث مشهورين في بلادهم, وكان أئمتهم مالك وصاحبه الشافعي ثم ابن حنبل[1] وكان علم الشريعة في ذلك الوقت في النقل بدون الرأي والاجتهاد, لذلك اهتموا بالصحـــة في النقـل، وأن الموطأ عندما كتبه الإمام مالك في أصول الأحكام كتبها من الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها فقط وقام بترتيبها على مداخل الفقه وبعدها علماء الحديث اهتموا في معرفة الطرق للأسانيد والروايات المختلفة ثم جاء الإمام البخاري ورتَّب أحاديث أهل السنة ودوَّنها حسب أبوابها على جميع الطرق عند الحجازيين والعراقيين والشاميين لهذا حدث تكرار في الأحاديث حتى بلغت (9200). والمكرر منها بلغ ثلاثة آلاف حديث بسلاسل نقل مختلفة وطرق مختلفة.

موقف ابن خلدون من رواة الحديث:

لا يهتم ابن خلدون بمن اختصر روايته للحديث, وخاصة الأئمة وقرر أن الشريعة مأخوذة فقط من الكتاب والسنة, ولكن بعضهم اختزل الرواية خوفاً من الجرح والتعديل في رواية الحديث وأن الاجتهاد يؤدي إلى ترك الأحاديث المشكوك بها، فتقل روايتها وأن أهل الحجاز هم الأكثر روايةً, وذلك لأن ملاذ الصحابة رضي الله عنهم, هم أهل الحجاز. ويعلل ابن خلدون سبب قلة رواية الحديث عند أبي حنيفة بأن ذلك يعود إلى صرامة الشروط عنده وليس لترك الحديث عمداً حاشاه, بدليل أن العلماء معتمدون لمذهبه وأضافوا في الحديث أن أصحاب أبي حنيفة وجمهور العلماء وسعوا الشروط من بعده في رواياتهم, والمتأخرين مثل الطحاوي توسع زيادة على شروط الصحيحين لذلك فالصحيحان لهما التقدم[2].

أهم كتب الحديث:

رأى ابن خلدون أن حديث البخاري هو الأعلى ولكنه الأصعب, لذلك فهو يحتاج إلى تأمل إذ تتكرر فيه الأحاديث بحسب الترجمات والموضوعات والمعاني,

(1) ينظر: *المقدمة*، 641/1.
(2) ينظر: *المقدمة*، 641/1.

لذلك قالوا إن الشرح للبخاري هو دين على الأمة, وسبب ذلك هو لأن العلماء لم يعطوا الإمام البخاري حقه من الشرح[1].

وعن منهج البخاري قال ابن خلدون: جاء محمد بن إسماعيل البخاري وهو في عصره إمام المحدثين حيث أنه خرّج أحاديث السنة في مسنده الصحيح على أبوابها في جميع طرق الحجازيين والشاميين والعراقيين، واعتمد على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه، مثلما روى عن أهل خراسان وواسط والري وبخارى ونيسابور ومرو وغيرها الكثير, ومن لم يرحلوا لتلك البلاد. وكان للبخاري في الجرح والتعديل أسلوب خاص ومنهج متقن فيه الكثير من التثبت والتحري، بحيث إذا أنكر السماع من راوٍ معين قال: لم يثبت سماع فلان من فلان, ولا يقول، ورعًا: إن فلانًا لم يسمع من فلان. وأكَّد ذلك صاحب فيض الباري نقلًا عن ابن حزم، وكان أكثر ما يقول في الرجل المتروك (سكتوا عنه) أو (فيه نظر) وقلَّ أن يقول كذاب أو وضاع، بل يقول (كذبه فلان) أو(رماه فلان) يعني بالكذب[2] وكان أبلغ تضعيفه للمجروح قوله "مُنكر الحديث"[3].

أما صحيح البخاري فلم يهتم به المغاربة كثيراً كما اهتموا بصحيح مسلم, بل أكثروا من شروحه وفضلوه أيضاً على البخاري ومنهم المارزي في كتابه: المعْلِم بفوائد مسلم, حيث أكمله القاضي عياض وسماه: إكمال المعلم ثم شرحه النووي وقد استوفي ما في الكتابين وزاد عليهما[4] وعن منهج مسلم يقول ابن خلدون: حذا مسلم حذو البخاري في صحيحه, فحذف المتكرر ونقل المجمع عليه حيث جمع طرق الأسانيد ثم رتبها على أبواب الفقه, لكن البخاري ومسلم لم يحصوا كل الأحاديث الصحيحة لهذا صحح بعدهما أو استدرك لهما العلماء, مثل أبو داود السجستاني والترمذي والنسائي لكنهم أصروا على أن تكون الشروط للعمل هي من أعلى الرتب العالية في الإسناد الصحيح, وأقل من الحسن وغيره لذلك اكتمل المسند

(1) ينظر: *المقدمة*، 641/1.
(2) تقي الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، 2/ 9.
(3) ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن أحمد المصري الشافعي (ت: 804هـ), *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*, دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، (دمشق: دار النوادر، ط:1، 1429هـ - 2008م) ، 85/1.
(4) *المقدمة*، 456/1، علي عبد الواحد وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص148.

الصحيح والشهير في السنة, وأن معرفة الشروط والاصطلاحات للحديث تعود في الغالب إلى المسانيد من أمهات كتب الحديث, والبعض من كتب غريب الحديث ومن كتب في مختلف الحديث والمؤتلف.

الحاكم النيسابوري:

حسبُنا في بيان أهمية كتاب الحاكم ما قاله ابن خلدون: وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا، ومن فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه[1] ابن خلدون ذكر له هذا الكتاب حين تحدّث عن صحيح مسلم الذي اعتنى به علماء المغرب مجمعين على تفضيله: وأمّا صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبّوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه، وأكثر ما يقع له في التراجم[2].

واعتبر ابن خلدون الوادآشي إمام المحدثين، وذكر أنّه سمع عنه العديد من الأحاديث النبوية من موطأ مالك، وصحيح مسلم، وكان العسقلاني قد قال في ترجمة الوادآشي: "عارفًا بالنحو واللغة والحديث والقراءة استكثر من الرواية حتى صار راوية الوقت"[3] وورد بمعجم المؤلفين أنّ للوادآشي شيخ ابن خلدون مؤلَّفاً، عنوانه: (الأربعون في الحديث)[4].

كتاب المُعْلِم:

أما المعلم فكان مؤسساً على الأحاديث النبوية، وقد تركز على فقه الحديث بطرق اجتهادية بفنون الفقه حيث عبر عنه ابن خلدون بقوله: وأملى عليه، أي

(1) أبو عبد الله الحاكم محمد بن حمدويه بن نُعيم الطهماني الضبي النيسابوري (ت:405هـ) *معرفة علوم الحديث*، المحقق: معظم حسين (بيروت: دار الكتب العلمية, ط:2، 1397هـ - 1977م), 34/1.
(2) *المقدمة*، ص 801.
(3) *المقدمة*، 456/1.
(4) رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 146/9، اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، 299/2.

(الجامع الصحيح لمسلم) الإمام المازري من فقهاء المالكية شرحاً، وسماه (المعلم، بفوائد مسلم) اشتمل على عيون من علم الحديث، وفنون من الفقه[1].

موطأ مالك:

سمع ابن خلدون موطأ مالك على أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الواديآشي، وأجازه فيه إجازة عامة[2].

أما الكتب الأخرى للأحاديث-ففيها معظم مآخذ الفقهاء-وأن أكثر شرحها في كتب الفقه إلا فيما يخص بعلم الحديث، حيث استوفى الناس ما يحتاج إليه علم الحديث من موضوعات وأسانيد بحيث تميزت الأحاديث بين صحيح وحسن وضعيف، وعرفها الأئمة بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفطنون إلى أنه قد تغير وضعه، وذلك لاختلاف الأئمة في رواية الحديث، لذا أبوحنيفة بلغت روايته سبعة عشر حديثًا فقط، وقد صحّ عند مالك في الموطأ ثلاثمائة حديث لا غير وفي مسند أحمد بن حنبل خمسون ألف حديث، ولكل منهم اجتهاده في ذلك[3].

وخلاصة القول: إن القواعد التي صاغها علماء الحديث مكنتهم من الوصول إلى أعلى درجات القدرة على صياغة القواعد الصحيحة، والأعلى والأكثر دقة للإثبات التاريخي, وهي أفضل التخصصات العلمية التي يمكن للعقول البشرية تحقيقها, من أجل حماية دينهم والفنون الأخرى في اللغة العلمية والأدب والتاريخ وما إلى ذلك. ويعتبر ابن قتيبة من أوائل النقاد الأدبيين, واستمد ذلك من معارفه الحديثة وأيضاً ابن خلدون عندما ميز الأخبار الزائفة للمؤرخين طبق ما فعله الإمام مسلم أي الأمثلة نفسها التي كشف بها الحديث المنكر أيضاً. فابن خلدون كان مطلعاً على رواة الأحاديث وكتبهم لهذا انتقد بعضاً منهم من خلال درجة الحديث من حيث القوة, ومن خلال كلامه بين أنه لا يهتم بمن اختصر روايته للحديث، المهم يكون الراوي ثقةً ويروي حديثاً صحيحاً، كما بين أن صحيح البخاري ومسلم هما الأفضل عنده وأيضاً الحاكم النيسابوري من الذين أثنى عليهم، وأخذ إجازة عامة في موطأ الإمام مالك.

---

(1) *المقدمة*، 801/1.
(2) ابن تغري بردي، *المنهل*, 206/7.
(3) ينظر: *المقدمة*، 456/1.

وهذه الآراء ووجهات النظر أبداها بعد أن درس علوم الحديث وما يخصها دراسة العارف الخبير.

3.الفصل الثاني: جهود ابن خلدون في التفسير بالمأثور

1.3.المبحث الأول: تعريف التفسير بالمأثور وبيان منزلته وأنواعه

التفسير لغة واصطلاحاً:

لغة:

تدور معاني التفسير حول الكشف، والإيضاح، والبيان للشيء، قال ابن فارس:[1] "(فَسَرَ) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه"[2]. وقال ابن منظور:[3] "(الفَسْرُ): البيان فَسَر الشيءَ: أي أَبانه"[4] ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[5] قال ابن كثير في تفسير الآية: "أي: ولا يقولون قولًا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم"[6].

وذكر الراغب أنّ الفَسْرَ يعني: "كشف المغطّى، والتَّفْسير: كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكِل"[7].

وموجز القول أن معنى التفسير في اللغة هو: الإبانة، والإظهار، والكشف، بنطق أسلس وأيسر.

التفسير اصطلاحًا:

---

(1) هو أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي، ولد في قرية كرسفة، بمنطقة برستاق الزهراء كان من الأئمة العارفين باللغة وأن الأعلام نزيل همذان، أنه من أهل السفر في السعي وراء العلم, وتوفي بهجرة الري عام (395ه) ودفن فيها, ينظر: *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين محمد الذهبي، 103/17.

(2) أحمد بن فارس أبو الحسين القزويني الرازي، (ت: 395هـ), معجم *مقاييس اللغة*, بتحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر: 1399هـ - 1979م), 402/4.

(3)*هو محمد بن مكرم أبو الفضل الأنصاري أفريقياً ثم المصري لاحقاً ويلقب بابن منظور, ولد في مصر عام(630ه) ويقال في طرابلس, خدم في ديوان الآثار بالقاهرة بعدها صار قاضياً بطرابلس ثم عاد إلى مصر وتوفي عام (1700ه) فترك (500) مجلداً بخط يده من مختصراته. ابن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*, تحقيق: محمد عبد المعيد ضان (الهند- حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية, 1392هـ - 1972م) ، ط:2، 107/2.

(4) محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ) *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، ط:3، 1414هـ)،128/11، مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ) *القاموس المحيط*, تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ط:2، 1426هـ 2005م)، 156/2، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ((المتوفى): 816هـ) *كتاب التعريفات*، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية ط:1، 1403هـ -1983م)، ص87.

(5) سورة: الفرقان الآية (33).

(6) *تفسير ابن كثير*، 109/6.

(7) ابن منظور، *لسان العرب*, 69/1، *القاموس المحيط*, 682/1، مادَّة (أثر).

لقد تعددت تعريفاته، ولعل أحسنها وأجمعها تعريف الزرقاني، إذ عرّفه بقوله: هو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[1].

وقال الإمام الزركشي:[2] التفسير: هو علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحِكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو، والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[3].

وقال الإمام السيوطي:[4] "التفسير علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعِبرها وأمثالها"[5].

---

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني (ت:1367ه) *مناهل العرفان في علوم القرآن* (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:2), ص6.

(2) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر المصري الزركشي الشافعي الإمام المصنف, ولد عام (745ه), وأخذ عن الشيخين: سراج الدين البلقيني وجمال الدين الأسنوي، وكان كثير التصانيف ومن الرحالة في طلب العلم، توفى في مصر ودفن بالقرافة، عام (794ه) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة, ص479، ابن العماد العكري الحنبلي، *شذرات الذهب*, بتحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط, (دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ) ، 334/6.

(3) بدر الدين محمد الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*, 13/1.

(4) هو عبد الرحمن أبي بكر بن سابق الدين بن الفخر عثمان الخضيري الأسيوطي, ولد في رجب عام (849ه), نشأ بالقاهرة يتيماً وعمل في العلوم، وكان عَلَماً، توفي في ليلة الجمعة عام (911ه), وكان عمره إحدى وستين عاماً. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) *حسن المحاضرة*, المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط:1، 1387هـ - 1967م)، ص110، أحمد بن محمد الأدنروي، *طبقات المفسرين*, حققه: سليمان بن صالح الخزي (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط:1، 1997م)، ص365.

(5) جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*, تحقيق: سعيد المندوب (لبنان: دار الفكر, 1416هـ 1996م) ، ص435.

وقال أبو حيان:[1] "التفسير: علم يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك"[2].

وقال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لَبْس وخفاء فيُؤتى بما يزيله ويفسره[3].

التفسير الأثري لغة واصطلاحاً:

لغة:

هو مأخوذ من الأثر، وهو بقية الشيء، والأثر: مصدر قولك: أثرت الحديث آثره إذا نقلته عن غيرك ورويته، ومن هنا قيل: حديث مأثور، أي: يخبر الناس به بعضهم بعضًا، أي: ينقله خلف عن سلف[4].

اصطلاحًا:

عرّفه محمد حسين الذهبي بقوله: يقصد بالتفسير الأثري تفسير القرآن الكريم بالنصوص الإسلامية الأولى ذات الطابع المصدري، وهي: الكتاب الكريم نفسه، والسنّة النبوية، وسنّة أهل البيت وما أُثر عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود نقاش في تفسير التابعين، من حيث اندراجه في الأثر، أو في التفسير بالرأي[5].

منزلة التفسير بالمأثور:

---

(1) محمد بن يوسف بن علي بن حيّان، الإمام أثير الدين الغرناطي الأندلسي, النّفزي, لغويّ ونحويّ عصره ومفسّره، ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة عام (654ه), ومن مصنفاته: البحر المحيط في التفسير, وغيره، توفي عام (745ه). ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معجم *الشيوخ*، خرجه: شمس الدين أبي عبد الله الصالحي الحنبلي، بتحقيق: رائد يوسف العنبكي بشار عواد, مصطفى إسماعيل الأعظمي, (دار الغرب الإسلامي، ط:1 2004م) ، ص472.

(2) محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي، *البحر المحيط*, حققه: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود, (لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1, 1422 هـ-2001م)،121/1، *جهود الإمام المباركفوري في الدراسات القرآنية من خلال كتابه تحفة الأحوذي- شرح جامع الترمذي، عرض ودراسة*, 5/2، محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*،163/1.

(3)ينظر: أبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات, بتحقيق: محمد المصري وعدنان درويش، (بيروت: مؤسسة الرسالة 1419هـ), ص260.

(4) ابن منظور، *لسان العرب*، 69/1، *القاموس المحيط*، 682/1، مادَّة: (أثر).

(5) محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*, (مصر: دار الكتب الحديثة، ط:2، 1976م), 153/1.

يُعد من أَسْمَى أنواع التفسير؛ لذا كانَ الإهتِمام به مُبَكّراً, وهو أَوَّل علوم القرآن تدوينًا, وكانَ أَصحاب الشَّأن الأول في هذا هُمّ رِجال الحديث والرواية[1] ونجد في الصحيحان وغيرهما من دَوَاوينُ السُنة المطهرة أبوابًا خاصة بالتفسير, وقد جَمَّعَ فِهَا أَصحاب الكتب تِلْكَ ما صَحَّ عِنْدَهم من التفسير المأثور عن النبي في ﷺ.

أهمية التفسير بالمأثور:

تعود أهمية هذا التفسير إلى قيمة مصادره الأصلية وأهميتها, والتي لا تخفى على الباحثين في الدراسات القرآنية، من كونها أفضل طريقة للتفسير بلا منازع, إذ نصّ على ذلك علماء علوم القرآن. والذي يدل على أهمية هذا النوع من التفسير أنه سَنام معرفة معاني القرآن وإدراك مراميه, وهو أمر لابد منه لكل من يريد أن يتأمل في كلام الله تعالى, وأيضاً من أراد أن يفسر بالرأي يتحتم عليه أن يطلع على سبب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحوها من العلوم الضرورية, وهذه كلها لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح عن التفسير بالمأثور، بل هي نابعة منه[2].

أنواع التفسير بالمأثور:

تفسير القرآن بالقرآن: هو ما ثبت في القرآن نفسه، إذ هو قول الله تعالى، والله جل وعلا أدرى بأسرار كلامه، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمراد نفسه من غيره[3] لذلك اعتبر العلماء هذا اللَّون من التفسير في الدرجة الأولى، وأنه من أعلى المصادر وأفضلها, قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

إن أصحَّ الطرق في ذلك- أي في التفسير- أن يُفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكانٍ فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر[4].

تفسير النبي ﷺ:

(1) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، 12/2، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 152/1.
(2) ينظر: التفسير الصحيح، 5/1.
(3) الزرقاني، *مناهل العرفان*، 13/2.
(4) تقي الدين, أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية, الحراني الدمشقي الحنبلي (ت: 728هـ) *مقدمة في أصول التفسير* (بيروت-لبنان: دار مكتبة الحياة، 1490هـ-1980م) ، ص93.

يأتي في المَرْتَبَة الثانية من ألوان التفسير, إذ الرسول ﷺ هو المُكلَّف بالبيان والتَوْضِح, وإنّ خَيْرُ الهدي هَدْيِهِ ﷺ, ونحن نقطع بعصمته, وتوفيقه ﷺ[1] كَمَا قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2] فالسنَّة: تُبيّنُ المُجمل, وتُقيَّد المُطْلَق, وتحدد العُموم, فتخرج الكَثِير من الصَّيَغ القرآنية عن ظاهِر مفهومها في أصل[3].

تفاسير الصَّحابة رضي الله عنهم:

يقع في المَرْتَبَة الثالثة, وقد اشتمل على الكثير من التفسيرات التي كانت هناك حاجة ماسة إليها في ذلك الوقت لعدد من الأسباب، منها: اتساع رقعة الإسلام، واختلاط العرب بغيرهم، مما أدى إلى اختلاط الثقافات الوافدة مع المسلمين الجدد، خاصة ثقافة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وغيرها ودخول أناس جدد في الدين الحنيف، ونشوء جيل من أبناء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم ممن لم يعايشوا الوحي ولم يشهدوا وقائع التنزيل. وهذه الأسباب وغيرها جعلت الحاجة ماسة إلى الرجوع للصحابة رضي الله تعالى عنهم لمعرفة الحق من الباطل، وتمييز الصحيح من غيره[4].

2.3.المبحث الثاني: استشهاد ابن خلدون بالآيات القرآنية والأحاديث وأقوال الصحابة

1.2.3. المطلب الأوّل: استشهاده بالآيات القرآنية

احتشدت مؤلفات ابن خلدون بعدد كبير من الاستشهادات المستمدة من كتاب الله تعالى حيناً، ومن سنة نبيّه ﷺ حِينًا آخر, ومن كَلاَم ومُعْطَيات الصَّحابة الكِرام حِينًا ثالثًا والتي كثيرًا ما اسْتَنَدَ إليها لتعزيز وجهات نظره, لِيجعل استدلالاته أَكثرُ حجّية وصوابًا وإقناعًا, ممّا يؤكّد الرؤيا الدينية الأصيلة عند ابن خلدون.

---

(1) الزرقاني، *مناهل العرفان*، 2/ 13.

(2) سورة: النحل الآية (44).

(3) إبراهيم بن موسى اللخمي, يعرف بالشاطبي (ت:790هـ) *الموافقات*, المحقق: أبو عبيدة بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، ط:1، 1417هـ- 1997م)، 21/4.

(4) مصطفى مسلم، *مناهج المفسرين- القسم الأول: التفسير في عصر الصحابة*, (دار المسلم للنشر, ط:1, 1415ه)، 41/1.

فمن تلك الاستشهادات:

استشهاده بقوله تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1] على أنّ الدولة الكبيرة أصلها الدين إما من نبوة وإما من دعوة حق والسبب في ذلك أن الملك يحصل بالتغلب، والتغلُّب إنما يكون بالعصبية, وتَوافُق الأهواء على المطالب, والانْسِجَامُ وجمع القلوب إنّما يكون بإعانَة من الله في إقامة دينه. قال سبحانه ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾[2]. فالقلوب إذا وقعت في رغبات وميول باطلة، كالميل للدنيا، يحصل التَزَاحُم وينشأ الخِصَام, وإذا إلْتَجَأَ الإنسان إلى الله وتَرَكَ الدنيا وأقبل على الحق, أقبل الله برحمته إلَيْهِ, حِينَئِذٍ ستتحد الوِجهة, فلا تنافس ولا جدال. وحسن التَعَاوُن والتَرَابُط يوسعان نطاق الكلمة, لهذا عظمت الدولة.

يتحدّث ابن خلدون هنا عمّا أسماه بـــ(العامِلُ الْعَقَائِدِيّ), الذي يخصّ ويَحبُك طاقات الثُّلَّة الإنْسَانِيَة الواحِدة التي تنتَسِبُ إلى عقيدَةٌ ما, ويرشِدُها نَحْوَ هدف واحِد؛ لتحقيق الْغَايَةُ المرجوّة, أي يكونوا مِثْل البُؤْرةُ الواحِدة, لترتفع قدرتهم على الفِعْل التَّاريخيّ, مِثْلَمَا تَزْدَاد قُوَّة أشِعّة الشَّمس على الإحراق, عن طريق تَجْمِعها بالعدسة المحدّبة. إذن الدولة الكبيرة: هي تعبير تاريخي عن قوَّة أمَّة ما على فِعلٌ موحدٌ, صاغته نحوَ هدفها الواحد. وعكس هذا, فإن غِيَاب الدين يعني إنحِلاَل الفِعْل وتناثره صوب أهداف مُختلِفة, ومُتناقِضة, ثمّ قلَّ وصَغُرَ دَوْرَه التاريخيّ. وبناء على ذلك فإن الجماعة التي لا يكون لها ارتباط بعقيدة لن تستطيع التمدّد في الزمان والمكان, وإذا حَصَلَ امتِداد لهم فعلاً, فحينئذ يكون هناك استِثْنَاء للقاعدة, ومصيره التلاشي, فلا يُحكم عليه, وسوف يضمحلّ وينتهي عند أول تحدٍّ يظهر في طريقه[3].

وما ذهب إليه ابن خلدون هو المعنى نفسه الذي قاله المفسرون، إذ قال البيضاوي في تفسير الآية: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾ مع ما فيهم من العصبية والضغينة

(1) سورة الأنفال الآية (63).
(2) *المقدّمة*، 466/3.
(3) *ابن خلدون إسلاميًا*، ص35.

في أدنى شيء، والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة، وهذا من معجزاته ﷺ. وأيضاً قيل الآية نزلت في الأوس والخزرج عندما كان بينهم خلاف ووقائع هلكت فيها ساداتهم، فأنساهم الله ذلك وألف بين قلوبهم بالإسلام حتى تصافوا ونسوا الخلاف وصاروا أنصاراً[1].

وقال الزحيلي: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾ أي: جعلهم الله تعالى أمة واحدة متعاونة معكم بعد العداء والبغضاء بينهم بعد خلافات طويلة في العصر الجاهلي, كما كان الحال بين أوس الأنصار والخزرج, ثم أزال الله كل هذه الخلافات بنور الإيمان[2].

من تفسير الأئمة للآية الكريمة يتضح أن التأليف بين القلوب جعله الله معجزة لنبيه ﷺ لنصرته وتأييده، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن اتحاد الأمة يقلّل الخلاف ويحسن التعاون والتعاضد فتعظم الدولة كما عظمت في عهد النبي ﷺ.

كما استدل بقوله تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. في تفسير نظريته عن العصبية.

يرى ابن خلدون أن العصبية هي أداة للمدافعة والحماية والمطالبة، فتعطي المجتمع ملامحه وخصوصياته، وربما قد تتحول من رابطة سيكولوجية اجتماعية إلى قوة للمواجهة والمطالبة، ومن ثم تأسيس الدولة والملك, ورأي ابن خلدون[3] أن العصبية تأتي من الاندماج بشكل أساسي وإذا أضيف اندماج روحي آخر أي كالعادات المتوارثة بينهم إلى هذا التماسك الاجتماعي فسوف يكون التوتر قوياً بحيث لايمكن لأي شيء أن يقف في طريقه، فالعصبية هنا هي مرحلة خاصة، وظرف تاريخي وحضاري خاص، فالدين هو الذي يكتنفها ويوجهها في إطارها الحضاري, قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾. إن ارتباط الإسلام بالعصبية في الفكر الخلدوني هو ارتباط الروح بالمادة,

(1) ينظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ) *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*, المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي, (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1418ه) ، 3/65-66.

(2) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*, (دمشق: دار الفكر المعاصر, ط:2، 1418ه) 10/ 57.

(3) ينظر: محمد عابد الجابري، *العصبية و الدولة*، ص290.

لأن الدين هو الذي يمكّن هذه الأشياء (الكائنات القومية) من أن تكون حضارية وفعالة وخالية من مستوى التحديات المناخية والجغرافية، والعدوان القبلي, إلى مستوى المشروع العقلي والعالمي والروحي والمادي، الذي يقدم حضارة لائقة بإنسانية الإنسان واستخلاف الله له من أجل تحقيق العمران[1]. يرى ابن خلدون أن الرابط الطبيعي والاجتماعي (العصبية) هي إناء يشبع محتواه بالقيم الروحية التي تكون وازعًا لعصبية الأمة ومرشدًا لحافزها القومي؛ وسبب ذلك أن هذا الوازع يكون مزيلًا للغلظة والأنفة ومذمومات الأخلاق، ودافعاً الأمة إلى الأخذ بمحمودها، وتتألف كلمة القوم لإظهار الحق، ويحصل لهم التغلب، ويعتبر ابن خلدون الملك القائم على الوازع (العصبية) وحدها ملكًا قائمًا على القهر، كما رفض الملك القائم على السياسة مجردًا من الصبغة الدينية التي نظمتها شريعة السماء في حراسة نور الله في الأرض، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[2].

واستشهد بقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3] على "أن الأنبياء والمرسلين يختَّصّ بهم أكمل النوع في خَلقهم وأخلاقهم"[4].

تحدَّث ابن خلدون في الباب الأوّل من مقدمته عن جغرافية العالم، وعن تأثير الظروف الجغرافية في التكوين البشري ونشاطه العمراني، وأكد سبب تمركز جلّ الأديان السماويّة في المنطقة المعتدلة الممتدة بين جزيرة العرب والهلال الخصيب ومصر بقوله: فالإقليم الرابع الذي تنتمي هذه المنطقة إليه هو أعدل العمران، لمحاذاته من الثالث والخامس وهم أقرب للاعتدال، لهذا كانت العلوم والصنائع والمباني بل والحيوانات، وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة وسكانها من البشر

(1) ينظر: عبد الحليم عويس، *التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون*, (الدوحة: منشورات كتاب الأمة, ط:1, 1996م)، 124- 125.
(2) سورة النور الآية (39- 40).
(3) سورة: آل عمران الآية (110).
(4) المقدمة، 486/1.

أعدل أجسامًا وألوانًا وأخلاقًا وأديانًا، حتى النبوات يكون فيها الأكثر، ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك أن الأنبياء والرسل إنّما يختَّصّ بهم أكمل النوع في خَلقهم وأخلاقهم؛ وذلك ليتم القبول لما يأتيهم به الأنبياء من عند الله[1].

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ أي: "أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس، ولهذا قال: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"[2]. وقال الصابوني: قوله: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ أي: أنتم يا أمة محمد ﷺ خير الأمم, لأنكم أنفع الناس للناس, ولهذا قال: ﴿**أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ أي: "أخرجت لأجلهم ومصلحتهم"[3]. فما ذهب إليه ابن خلدون لا يختلف عمّا ذهب إليه ابن كثير والصابوني، وغيرهما من المفسرين، وهو أن المراد بخير الأمم أنهم أنفع الأمم للناس. والنفع يكون بطرق شتى، فالصنائع، والأقوات والفواكه والمباني والملابس والحيوانات, وجميع ما يتكون في هذه المنطقة- مما ذكره ابن خلدون- فيه نفع عظيم ومصالح للناس.

واستدلّ ابن خلدون بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[4] على أنَّ الانتماء الديني يرفض الانقياد للباطل، وأنّ الإقبال على الله هو حجر الزاوية في قدرة الإنسان الفرد والجماعة على التجرد الكامل في مواجهة التاريخ بأقصى قدر من الفاعلية والتناغم، وبأقل قدر من الجذب والشد والإعاقة. وإن القرآن الكريم يصف المؤمنين مراراً بأنهم (يسارعون في الخيرات) وهنا يكشفها البعد الزمني والبعد التاريخي في حركة الإنسان المؤمن في العالم, وذلك ليحقق أكبر قدر من الإنجاز في أقلَّ حيز زمني.

ويختم ابن خلدون مقولته بهذه العبارة: اتَّسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة[5].

---

(1) *المقدمة*، 486/1.

(2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) *تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)*, المحقق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط:1، 1419هـ)، 80/2.

(3) محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير* (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 1417هـ-1997م) ، 202/1.

(4) سورة المؤمنون الآية (61).

(5) *تاريخ ابن خلدون*، ص481.

والكلمة لن تتحول إلى فعل تاريخي إلا بالإيمان الذي يحولها إلى طاقة حركية تعبّر عن نفسها من خلال الجماعة المؤمنة, وتكون نتيجة هذا التعبير دولة عظيمة, وكذلك كانت دولة الإسلام الأولى في أعقاب فتوحاتهم الأولى التي اختزلت الزمان والمكان, وكذلك كانت الدول الكبرى في التاريخ.

ومنها استشهاده بقوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ**﴾[2] في نظريته عن المعاش ووجوه الكسب والصنائع.

انطلق ابن خلدون من رؤية قرآنية واضحة حين يرصد الحقيقة للمعاش ووجوه الكسب والصنائع مبيّناً المعايير لقيمة العمل، قائلاً: اعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشده إلى كبره والله الغني وأنتم الفقراء[3] والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتنّ به عليه في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**﴾[4] وقوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ**﴾[5]. ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف، وأيدي البشر منتشرة، فهي مشتركة في ذلك، وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض. فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف، سعى في اقتناء المكاسب؛ لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته، بدافع الأعواض عنها, قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[6]. والسعي إليه يكون فقط بإرادة الله القدير ووحيه, لأن كل شيء يأتي من الله لذلك يجب أن يكون لكل ما يكسبه ويموله

(1) سورة الجاثية الآية (13).
(2) سورة إبراهيم الآية (32).
(3) سورة محمد الآية (38).
(4) سورة الجاثية الآية (13).
(5) سورة إبراهيم الآية (32).
(6) سورة العنكبوت الآية (17).

سلوك بشري, لأنه إذا كان عملاً في حد ذاته مثل الحرفة إذن فالظاهر أنه إذا تم الحصول عليه من الحيوانات والنباتات والمعادن فيجب أن يكون عمل الإنسان كما تراه وإلا فإنه لا يحدث ولا يستفيد منه[1].

وهنا يؤكد ابن خلدون أن قيمة الحاجات الاقتصادية تنبع من نطاق العمل المنجز فيها, وهو ما تتناوله بعض النظريات المعاصرة في مجال الاقتصاد وعلاقات الإنتاج, ويعود لتأكيد قوله هذا إلى القرآن الكريم، كما يفعل في كثير من الحالات الأخرى[2].

ومنها استشهاده بقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾, على نظرية النشاط العقلي للإنسان.

يصف ابن خلدون في مقدمته بأن العقل أداة تميز الإنسان عن سائر الحيوانات، وتمكنه من أداء دوره العمراني في العالم كخليفة عن الله فيه، وهو هنا يشير إلى ثلاثة أنماط من الأنشطة الذهنية الذي يمارسه الإنسان[3] يقول ابن خلدون: قد بينا أن الإنسان من جنس الحيوان، وأن الله تعالى ميزه عن البهائم بالفكر الذي خلقه له، مما يجعل أفعاله منتظمة, وهذا هو العقل التمييزي, أو يستمد العلم والآراء والمصالح والشرور من أبناء جنسه وهذا هو العقل التجريبي، أو يحصل به في تصور الموجودات غائباً وشاهداً، على ما هي عليه، وهو العقل النظري. وهذا الفكر لا يحدث له إلا بعد اكتمال الحيوانية فيه ويبدأ من التمييز أو البصيرة، وقبل ذلك يخلو من العلم بالجملة فيعد من الحيوانات, من النطفة والعلقة والمضغة, وما حدث له بعد ذلك هو ما خلقه الله له في إدراك الحواس, قال تعالى في الامتنان علينا: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ**﴾[4] فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هيولي فقط؛ لجهله بجميع المعارف، ثم تكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته فتكمل ذاته الإنسانية في وجودها، قال تعالى في مبدأ الوحي إلى نبيه: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ**

(1) *المقدمة*، ص362- 363.
(2) عماد الدين خليل، *ابن خلدون إسلاميا*، ص44.
(3) ينظر: مصطفى الشكعة، *الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون*، ص118.
(4) سورة النحل الآية (78).

الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] أي أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلًا له، بعد أن كان علقة ومضغة فكشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبيّ، وما أشارت إليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده وهي الإنسانية وحالتها الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ الوحي[2].

وفي ظلال هذه الرؤية المرتكزة على القرآن الكريم, يُبَيِّنُ ابن خلدون منهجه الذي ميز بيّن العلم, والجهالة, والخرافة والمنطق, ثمَّ يُسند نظريته باستدلالات منطقية, ومعطيات علمية.

ويستشهد بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[3] على أن الترف مؤذن بخراب العمران.

تحدّث ابن خلدون في الباب الثالث من المقدمة عن قيام الدولة ونموها ثم تدهورها وسقوطها فأكد على أهمية المرحلة التي يلعبها الرخاء في خراب الأمم وتقسيمها وانحلالها, فأورد عددًا من الفصول في هذا الخصوص، منها: (فصل في طبيعة الملك الترف) و(فصل في طبيعة الملك السكون والدعة) و(فصل إذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصل الترف أقبلت الدولة على الهرم).

ومن خلال العديد من الأماكن من هذا الباب والفصول اللاحقة يأخذ ابن خلدون مسألة الرفاهية (الترف) في ظاهرها ويظهر دورها في التفكك والانحدار من خلال تعريفه للترف إلى تبادل العلاقة بين الترف والالتزام الأخلاقي والديني وما يترتب عليها من نتائج سلبية فمثلاً يؤكد: (إن الأخلاق التي تنتجها الحضارة والرفاهية هي جوهر الفساد, لأن الإنسان هو إنسان لقدرته على كسب نفعه وصد ضرره وسلامته الشخصية التي يسعى من أجلها. والحضري لايستطيع مباشرة حاجاته إما لكونه عاجزاً لما نال من السكينة وإما ترفعًا لما ناله من المربى في

(1)سورة العلق الآية (501).
(2) *المقدمة*، ص453 – 454.
(3) سورة الإسراء الآية (16).

الرفاهية والنعيم وكلاهما مكروه[1]. ثم يتحدث عن ظاهرة (التكاثر الشيئي- أو التمثيل الموضوعي) وهي من ظواهر الترف حيث يقول: "وإذا بلغ التّأنّق في هذه الأحوال المنزليّة الغاية تَبِعَه طاعةُ الشّهوات فتتلوّن النّفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها، أمّا دينها فلاستحكام صبغة العوائد الّتي يعسر نزعها، وأمّا دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها"[2].

ولهذا نفقات اهل الحضارة تعظم فتخرج النية عن القصد للإسراف, ومكاسبهم كلها تذهب للنفقات ويتبعون الفقر والشؤون الخاصة, ويكسد السوق فتدمر المدينة ويفسد أهلها في ذاتهم خاصة واحداً تلوا الآخر، لذلك يكثر شرُّهم وفسوقهم والتحايل من أجل كسب المال (المعاش) فتجدهم يرتكبون السرقات والفجور في الأيمان والربا في البيع, ومن استحكمت الرذيلة به فسدَ خُلقُ الخير فيه ولم ينفعه لا نسبه ولا طيبُ أصله، لذلك تجد الكثير من أصحاب الأصالة وأهل الدول, منطرحين بالغمار وتجدهم في معاشهم منتحلين الحرف الدنيئة, قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[3].

2.2.3. المطلب الثاني: استشهاده بالسنة المطهرة

استشهاده بقوله ﷺ "ما بعث الله نبيًّا إلا في منعة من قومه"[4] على نظرية العصبية.

والعصبية في أحد معانيها تعني أقارب الشخص الذين يلازمونه[5] وهذا الإصرار يخلق منها الدفاع والحماية، وهي شبكة من الأمان السياسي والاجتماعي

(1) *تاريخ ابن خلدون*، 465/1.
(2) المرجع نفسه، 465/1.
(3) سورة الإسراء الآية (16).
(4) *مسند أحمد*، 533/2، رقم الحديث (10916) *سنن الترمذي*، 293/5، رقم الحديث (3116). وقيل أنّه رُوي كقول لبعض الصحابة قاله في وصف رسول الله ﷺ بأنه كان في منعة من قومه.
(5) ينظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، 339/4.

تحمي الفرد من التطاول والاعتداء عليه من الآخرين؛ ولهذا أصبحت العصبية من ضَرُورات الحياة العربية, ويعبّر ابن خلدون عنها بـــ "النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة"[1].

كان ابن خلدون أول من لفت الانتباه إلى العلاقة بين العصبية والدين[2] وأن العصبية والدين معاً قد يحققا النقلة التي فشلت بها العصبية بمفردها، وكذلك قد لا يحققها الدين وحده, وذلك لأن العصبية تدل على انقسام ونزاع, والدين يدل على الوحدة والاجتماع, وأيضاً يرى أن العصبية وحدها بوصفها قيمةً عليا لا تصلح في بناء أحزاب سياسية ولافي قيام دولة. وسبب ذلك أن العصبية تتركز على اللُّحمة العشائرية لا على اللحمة السياسية, وأن مركز الثقل القبلي يتركز على قوة الدم, والثقل القبلي هو موجه لكل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[3]. والعلاقة بين العصبية والدين متأثران بشكل متبادل وأن الدعوة النبوية تتطلب قوة عصبية والعصبية ضرورية للملة, وفي وجودها يتحقق أمر الله منها. وفي الصحيح: "ما بعثَ الله نبيًّا إلا في مَنعةٍ من قومه" لكن ابن خلدون يؤجل العصبية عن موضع الغاية ليضعها بموضع (المطية) في تعبيره أو الوسيلة، كخادم للقيم الدينية العليا وإقامة الحق، وبهذا تكتسب المشروعية، وهي "العصبية في الحق وإقامة شرَع الله"[4].

وما يخص الخلفاء والعصبية ينطبق أيضاً على النبوة والعصبية, وأن النبوة مع أصلها الغيبي أدخلها الإسلام, حيث يرى ابن خلدون أن الإسلام تحت سلطة الواقع والظواهر الاجتماعية, خاصة عندما يتعلق الأمر بتمكين دعوة النبي ﷺ وقيادته في المجتمع, بحيث لابد أن يكون الرسول ﷺ المبعوث بإطار ما يسمى بالحديث النبوي: "في منعة من قومه", ومن هنا اختير للنبوة العربية أن تتموضع

(1) *المقدمة*، 93/1.
(2) ينظر: مصطفى الشكعة، *الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته* (الدار المصرية اللبنانية، ط:1 , 1406ه- 1986م)، ص71.
(3) ينظر: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ص72.
(4) علي بن نايف الشحود، *الحضارة الإسلامية وأسسها الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل*، 111/3.

وتتلبس بالقرشية لسببٍ واقعي عصبويّ، يسمح في قبول العرب لقيادة دينية، ودعوة الأنبياء والسلطان يقويان بالعصائب والعشائر. ولو شاء الله تعالى لأيّدهم بالكون كله، لكن أجرى الأمور على مستقرّ العادة[1] لكن النبوة لم تتنزّل داخل العصائب والقبائل بمعايير العظمة السائدة عند العرب، بحسب ما نقل القرآن عن زعماء قريش الذين اندهشوا من نزول الوحي على رجلٍ ليس منهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[2].

أكد ابن خلدون على مفهوم العصبية كأساس تقوم عليه الأمة, كما رأى أن الدعوات الدينية زادت من قوة الدولة في أصلها على قوة العصبية التي كان لها من عددها؛ فإن سبب ذلك كما قال: أن الصبغة الدينية أزالت التنافس والحسد الذي كان قائماً في أهل العصبية، وتفرد الوجهة للحق، وأن الاستبصار إذا حصل لهم في أمرهم لم يقف لهم شيء[3] وذلك لأن الهدف واحد والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه. وأصحابُ الدولة التي هم طالبوها، وإن كانوا أضعافَهم، فأغراضُهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل، فلا يقاومونهم وإن كانوا يفوقونهم عدداً بل ويغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل. ويمثّل ابن خلدون لهذه الفكرة بالفتوحات التي وقعت للعرب صدر الإسلام حيث كان جيش المسلمين حوالي (30) ألفاً في كل معسكر في القادسية واليرموك, وكان الفرس في القادسية (120) ألفاً, ووفقاً للواقدي كان عدد جموع هرقل (400) ألف, فلم يقف للعرب أحدٌ من أيِّ الجانبين فغلبوهم على ما بأيديهم[4].

ومنها استشهاده بقوله ﷺ: "الأئمة من قريش"[5] على أن حكمة اشتراط النسب القرشي هي العصبية.

ذكر ابن خلدون أن المقصود من النسب القرشي في هذه الأحاديث هو وجود العصبية. والعصبية تثبت الملك وتدعم السلطة التي بواسطتها يتمكن الخليفة من

(1) فاطمة جمعة، *الاتجاهات الحزبية في الإسلام* (بيروت: دار الفكر اللبناني، د. ت)، ص43.
(2) سورة: الزخرف الآية (31).
(3) *تاريخ ابن خلدون*، 198/1.
(4) ينظر: *تاريخ ابن خلدون*، 198/1، مصطفى مسلم، *ابن خلدون إسلاميًّا*، ص34.
(5) أخرجه *البخاري في (التاريخ الكبير)*, 112/2, معلقاً، *والنسائي في, (السنن الكبرى)*, (5942), *وأخرجه الطبراني في, (الدعاء)* (2122).

فرض الأحكام وتطبيق الشرع. فيرى أن الحكمة والفائدة في اشتراط النسب القرشي هي العصبية، فإذا ما تحققت العصبية لا تكون هناك ضرورة للنسب القرشي، إذ يقول في ذلك: "وإذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبية التي بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها"[1].

أما قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا وإن وليّ عليكم عبد حبشي ذو زبيبة"[2] فنفى ابن خلدون أن يكون مفاد الحديث مرتهنًا بلفظه، وإنما خرجه مخرج التمثيل، لا التطبيق، والغرض منه إيجاد السمع والطاعة.

وأما قوله ﷺ: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم"[3] فاستنتج منه ابن خلدون أن فائدة النسب إنما تكون في الترابط الذي يلزم صِلَةُ الرَّحم, حتى تقع المُؤَازرة[4].

3.2.3. المطلب الثالث: استشهاده بأقوال الصحابة والتابعين.

استشهاده بقول عمر رضي الله عنه: "من لم يؤدِّبه الشرع لا أدب له"[5].

تحدث ابن خلدون في الباب الثاني عن الحضر ومعاناتهم للأحكام, أي الخضوع للسلطة والتزامهم بقوانينها وتشريعاتها-مفسدة للبأس فيهم، ذاهبة للمنعة منهم، ثم وقف عند تجربة صحابة النبي ﷺ وهي التجربة التي أزالوا فيها المقولة هذه؛ فيما اكتسبوه من وازع دينيّ, لا سيَّما أنَّ هذا الوازِعُ انتشرَ داخل نفوسهم, فحفِظَهُم من الوقوع في وهدة التفكك والضعف, ومن الشعور السلبيّ بالخُضوعَ والاستكانة, يقول ابن خلدون: لا تشجب وتستنكر ما حصل للصحابة عندما أخذوا أحكام الدين والشريعة, فلم يَضعُف ذلك من بأسهم, بَلّ كانوا من أشد الناس بأسًا؛ وذلك لأن المسلمين عندما أخذوا الدين من النبي ﷺ كان وازعهم ذاتيّ, لما أعقب

(1) *المقدمة*، ص195.
(2) شمس الدين الرملي، *نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج*، 409/7.
(3) *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، 456/14، رقم الحديث (8868).
(4) *المقدمة*، ص129.
(5) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276هـ) *عيون الأخبار* (بيروت: دار الكتب العلمية: 1418هـ)، 2/ 167 تاريخ ابن خلدون, 126/1, مجلة البيان(238عددا), 24/36.

عليهم من الترهيب والترغيب, ولم يكن بتأديب تعليمي, ولا تعليم صناعي, بل هي آداب الدين وأحكامه المتلقاة نقلاً, لأنهم يأخذون أنفسهم فيما ترسخ بهم من عقائد دينية, ولم تزل سورة بأسهم محكمة,لم تخدشها أظفار الحكم والتأديب, يقول عمر بن الخطاب-رضي الله عنه: "من لم يؤدِّبه الشرع لا أدب له", حرصًا ليكون الوازع لكل واحد من ذاته, وبلا شك بأن الشارع أبلغ بمنفعة عباده.

ويمضي القول ابن خلدون إلى بأنّه: لما الدين تناقص بالناس وأخذوا الأحكام والوازع وصار الشارع علماً وصناعة ويؤخذ بالتأديب والتعليم وعودة الناس للحضارة والخُضوع, للأحكام ولذلك قَلَّ بأسهم, وقد بين مايُفْسِدُ البأس, إلا وهي الأحكام التعليمية والسلطانية, وسبب ذلك هو أن الوازع بها أجنبي, وأما الشرعية فهي غير مفسدة؛ سبب ذلك هو الوازع بها ذاتي, لهذا فالأحكام السلطانية والتعليمية مؤثرة في ضعف نفوس أهل الحضر, وأن البدو معزولون عن هذه المنزلة, وسبب بعدهم عن الأحكام السلطانية والآداب, والدين عندما يكون حيًا في النفس من خلال دعوة حيوية حركية عامة بعيدة عن التعليم الصناعي, وعن جفاف التأديب التعليمي؛ فإنه يصنع رجالا يملكون بنفوسهم حصانة تدوم وتحميهم من الانحناء الدائم والذل والانقياد, أمّا الأحكام الوضعية فإنّها إذ لا تسعى ابتداءً لخلق الوازع الديني في النفوس، فإنّها تتحول بمرور الوقت إلى سوط إذلال ينزل على ظهر (التابعين) فيفقدهم صولة البأس وإرادة الرفض، ويحولهم إلى قطعان من الأغنام تساق بمن هو أقدر منها، ولا تستطيع هي أن تسوق شيئًا أو تصنع تاريخًا[1].

استشهاده بموقف عمر بن الخطاب من تجارة أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) بعد الخلافة على نظريته: (ممارسة السلطان للتجارة مضرة بالرعايا والدولة):

جرى كثيرٌ من الحكام على ممارسة التجارة والزراعة, للحصول منها على دخل ضخم لتغطية تبعات الأعباء المترتبة عليه, مثل هبات الجنود, ورواتب الموظفين والعاملين, وإنفاق الدولة, وتطوير ثروته الخاصة. ويعلل ابن خلدون ذلك

(1) عماد الدين خليل، *ابن خلدون إسلاميًا* (المكتب الإسلامي، 1403ه- 1983م) ، ص46.

بأنه محاولة من السلطان لتعويض النقص الحاصل أو عن طريق زيادة الضريبة الانتقائية, أو عن طريق مشاركة العمال ودافعي الضرائب وامتكاك عظامهم[1] بحسب ابن خلدون[2] أي أن السلطان في هذه الحال ينوي الانخراط في التجارة والزراعة, والتي لم تكن في مصلحة رخاء الأمة ورعاياها ولا احتياجات الخزانة, وعدم الوفاء في احتياج بيت المال.

ابن خلدون يُدِين هذا التصرُّف من قبل السُلْطان, ويبغضه, ويقرر أنَّه خطأ عظيم, وفيه إدخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة، لخَّصها فيما يأتي:

- مضايقة الرعايا من التجار والفلاحين بشراء البضائع ومزاحمتهم في أرزاقهم وعدم تكافؤ رأس مال السلطان مع مالهم المحدود, وسبب ذلك هو عظم مال السلطان على أموالهم, وسد الطريق عليهم ودخول النكد والغم على نفوسهم.

- انتزاع السلطان للبضائع من مصادرها بأرخص الأسعار ولا يجد من يعترضه، لذا يبخس ثمن من يشتري منه.

- يقوم السلطان بإرغام التجار بشراء البضاعة الغالية من حرير أو عسل أو زرع أو غيرها, وهذه البضاعة لاتبقى عندهم مدة طويلة تحسباً في تحسن السوق. وإذا لزم الأمر لشيء من المال باعوا تلك البضاعة بأرخص ثمن. يقول ابن خلدون في هذا السياق: ربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم بما يذهب رأس ماله فيقعد عن سوقه, ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الأرباح فيؤدي إلى فساد الجباية. ومعظم الجباية إنمّا هي من الفلاحين والتجار, فإذا انقبض الفلاحون وقعد التجار ذهبت الجباية أو دخلها النقص الفاحش[3].

- إنَّ مُزاوَلَة الحاكم للزراعة والتجارة يعد ضارًا بالعمران, إذ يقول ابن خلدون ما نصّه: ثم فيه التعرض لأهل عمرانه، واختلال الدولة بفسادهم ونقصه، فإنَّ الرعايا

(1) يعني: امتصاصها.
(2) ينظر: *المقدّمة*، ص497.
(3) *المقدّمة*، ص499.

إذا قعدوا عن تثمير أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات، وكان فيها تلف أحوالهم[1].

لاشك عندما قدم ابن خلدون نظريته, لم يكن يستوحى في استدلالاته من التاريخ فحسب، بل كانت ناضحة عن فكره, وتلك الواقِعة هي وقفة عمر بن الخطاب من أبي بكر الصديق رضي الله عنهما, حينما وليّ أمر المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ عندما صحبه عمر رضي الله عنه, فذهبا إلى وصي بيت مال المسلمين إبي عبيدة, ليفرض له المال معيشة أهله, ففرض له ستة آلاف درهم.

(1) المقدّمة، ص499.

4.الفصل الثالث: جهود ابن خلدون في التفسير بالرأي

1.4.المبحث الأول: تعريف التفسير بالرأي، وشروطه.

تعريف التفسير بالرأي:

اختلف العلماء في تسمية التفسير بالرأي، هل يسمى تفسيراً، أو يسمى تأويلًا. والذي رجَّحه الزركشي أن هناك فرقاً بين التأويل والتفسير، وأنهما ليسا بمعنى واحد، فقال: ثم قيل: إن التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال. والصحيح تغايرهما[1] ويقول في مقام آخر: كأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً[2].

عرّفه البغوي بقوله:[3] "هو صرف الآية إلى معنى محتملٍ موافِق لما قبلها وما بعدها، غيرِ مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[4].

وتعريف الزُّرْقاني: "المراد بالرأي هنا الإجتهاد، فإن كان الإجتهاد مُوَفَّقاً أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم"[5].

وقال محمد حسين الذهبي: أن التفسير ما كان راجعًا إلى الرواية, وتكون دلالته قطعية, والتأويل ماكان راجعًا إلى الدراية, وتكون دلالته ظنية؛ لأن التأويل يترجَّح به أحد محتملات اللفظ بالدليل, وإن الترجيح يستند على الإجتهاد, ويتوصل إليه من

---

(1) الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، 149/2.

(2) البرهان في علوم القرآن، ص172.

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة صاحب التصانيف محيي السنة، محدِّث فقيه مفسر، كان سيدًا إمامًا، زاهدًا، من مصنفاته: شرح السنّة، ومعالم التنزيل والمصابيح وغيرها، توفى سنة عشر وخمسمائة للهجرة. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ) *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر)، 183/1.

(4) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، *معالم التنزيل*، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش (دار طيبة، ط:4، 1417هـ- 1997م) ، 46/1.

(5) الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، 49/2.

خلال معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها بلغة العرب وإِسْتِنْباط المعاني من كل ذلك[1].

الخلاصة: أن تفسير الدراية للقرآن الكريم هو تفسير ينبغي أن يكون خاضعاً للقواعد الصحيحة من اللغة، بحيث لا يخالف نصّاً من الرواية الصحيحة، ولا أصلاً من الأصول الشرعية, ويحمل معنى واحدًا.

شروط التفسير بالرأي:

أولاً: يجب أنّ يكون عارفاً في عقيدة السلف حتى يسلّمُ من آراء, المعتزلة والمرجئة والخوارج والجهمية والقدرية, وجميع الفرق الآخرى.

ثانياً: يجب أن يكون عارفاً بالقرآن الكريم, وحافظًا له, حتى يتمكن من تفسير القرآن بالقرآن.

ثالثاً: أن يكون عالماً بالسنة.

رابعاً: يجب أن يكون عارفًا بأقوال الصحابة كي لا يفسر شيئًا مخالفًا لتفسير الصحابة. وكان ابن جرير الطبري رحمه الله شيخ المفسرين من المهتمين بهذا، فمثلًا عند قوله جلّ وعلا: ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2] نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم, من أنّ المراد بالضمير في الآية الكريمة هم آدم وحواء، ونقل عن الحسن أنّه قال: المراد بهم اليهود والنصارى من جهة الجنس، ثم علّق ابن جرير[3]: "وهذا القول باطل، وإنما حكمنا ببطلانه لإجماع الحجة من الصحابة على خلافه، فيكون القول به محدثًا

(1) ينظر: محمد السيد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، 16/1.

(2) سورة: الأعراف الآية (190).

(3)*أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، إمام المفسرين، ولد بطبرستان، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان، أثنى عليه العلماء، وقالوا: إنه عالم ثقة، أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله ويُرجع إليه؛ لسلامة منهجه ولسعة علمه، ومن أبرز مؤلفاته: تفسيره الكبير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري، وهو أول تفسير كامل وصل إلينا أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير, توفي في بغداد.

على خلاف أقوال الصحابة. فمن المهم للمفسر أن يراعي أقوال الصحابة حتى لا يُحدث قولًا بخلاف أقوالهم"[1].

خامساً: يجب عليه أن يكون عارفًا في أحوال العرب, لكي لا يُنزل آيات القرآن الكريم لغير تنزيلها.

سادساً: يجب أن يكون عارفًا باللغة العربية بمفرداتها ونحوها وصرفها, وبمعاني علوم البلاغة.

ومن أهم كتب التفسير بالرأي:

أ- "أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي"[2].

ب-"مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي"[3].

ت-"لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين البغدادي الملقب بالخازن"[4].

2.4. المبحث الثاني: جهود ابن خلدون في تفسر الآيات القرآنية بالتأويل:

لقد كان لابن خلدون جهوده المقدرة في تفسير القرآن بالرأي. والشاهد على ذلك العديد من الآيات القرآنية التي فسّرها وأوّلها بخلاف ما ذكره المفسرون، ليستدل بها على نظرية ما أو إبداء وجهة نظر في أمر معين، ومن هذه الشواهد:

- نظرية أعمار الدول:

---

(1) محمد بن جرير بن كثير الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) *تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، بتحقيق: عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر, عبد السند حسن يمامة (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, ط:1، 1422هـ - 2001م) ، 623/10.

(2) هو قاضي القضاة أبو الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشافعي، من بلاد فارس صاحب المصنفات وعالم أذربجان، ولي قضاء شيراز، وكان إماماً بارعاً مصنفاً، فريد عصره ووحيد دهره، أثنى على علمه وفضله غير واحد، من مصنفاته: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير), توفي عام (691ه)، ينظر: السبكي، طبقات المفسرين، 155/8، بن تغري بردي الحنفي (ت:874هـ) *المنهل الصافي*, حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، وتقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 83/2.

(3) هو عبدالله أبو البركات بن محمود النسفي الحنفي, أحد الأئمة المعتبرين وصاحب التصانيف المعتبرة في الأصول والفقه، منها: مدارك التنزيل في تفسير القرآن، وكنز الدقائق، توفي عام إحدى وسبعمائة، ينظر: أبو الفضل بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، المحقق: محمد ضان (حيدر اباد:دائرة المعارف العثمانية، ط:2, 1392هـ-1972م) ، 168/1.

(4) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم الشيحي البغدادي الشافعي عرف بالخازن, ولد في بغداد, عام (678ه)، سمع من علمائها ثم رحل إلى دمشق واستقر بها متعلماً ثم معلماً ومات بها عام (741ه). ينظر: *الوافي بالوفيات*, لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث: 1420هـ-2000م) ، 34/1.

يقرر ابن خلدون أن للدول أعمارًا كأعمار الأشخاص، بمعنى أنّه إذا كان لكل شخص عمر محدد تنتهي حياته بنهايته، فإن للدول كذلك أعمارًا محددة تنتهي ويزول سلطانها بنهايته، والحكم ذاته ينسحب على العمران؛ لأنه في تقدمه وازدهاره أو في تناقصه وانحساره مرتبط بتدرج الدولة في مسيرة حياتها، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1].

يرى ابن خلدون أن عمر الدولة في أغلب ألاحيان لا يزيد عن عمر ثلاثة أجيال[2] ويقدر الجيل في أربعين عاماً، ومن ثمَّ يكون عمر الدولة مائة وعشرين عاماً في المتوسط، يقول بذلك: هذه الأجيال الثّلاثة عمرها (120) عاماً, لاسيَّما أنَّ الدولة في الغالب لا تتعدى هذا العمر, إلّا إذا عرض لها عارض آخر مثل فقدان المطالب، فيكون الهرم حاصلاً مستوليًا, والطّالب لم يحضرها، حتى لو وجد مدافعاً, قال تعالى: ﴿**فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[3] لذا فإن عمر الدولة بمنزلة العمر للشّخص من التزيّد إلى سنّ الوقوف، ثمّ إلى سنّ الرّجوع. والمشهور عند الناس أنّ عمر الدّولة مائة سنة[4].

يُعلّل ابن خلدون هذا التحديد للأجيال الثلاثة بأن الجيل الأول يكونون على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها، ولا يزالون معوَّدين على شظف العيش والاشتراك في المجد، فحسهم مرهف وجانبهم مرهوب، أما الجيل الثاني فقد حدث فيه التحول من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة ومن شظف العيش إل اللين والترف، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به مع كسل الباقين عن السعي فيه، فتنكسر سَورة العصبية بعض الشيء ويأنسون إلى المهانة والخضوع، ولكن يبقى فيهم الكثير من سجايا الجيل الأول الذي أدركوا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية، إن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظن من وجودهم فيهم.

---

(1) سورة الأعراف الآية (34).
(2) *المقدمة*، ص170.
(3) سورة الأعراف الآية (34).
(4) *المقدمة*, 215/1.

أما الجيل الثالث فهو جيل فناء الدولة وسقوطها, لاسيّما أنَّ أسبابه انقطعت بالجيل الأول وفقد العصبيّة والعزة بما فيها من ملكة, وبلغ الترف فيهم غايته فصاروا عيالًا على الدولة كالولدان والنساء, بعد أن كان عز الدولة مقرونًا بعزتهم- فإذا ما تعرضت الدولة للخطر لا يكونون أهلاً للمقاومة فيضطر صاحب الدولة إلى الاستعانة بغيرهم من أهل النجدة، ولكن أمر الدولة يكون إلى هرم ثم زوال[1]

كما استشهد ابن خلدون لنظرية عمر الدولة بقوله تعالى: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[2] فيؤول الآية على أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء[3] ويستشهد بقوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**﴾[4] أيضًا على أن للدولة أعماراً طبيعية كما للأشخاص[5]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ**﴾[6].

وهكذا استطاع ابن خلدون بفهمه العميق وذكائه الباهِر في تفسير آيات القرآن الكريم أن يلتمس جذور الرؤية الحسية المباشرة كمنطلق أساسي لأبحاثه، ومثال فقهه للقوانين الضابطة للتاريخ والدول من المجتمعات: فكرته في تحديد عمر الدولة في الأغلب، لا يعدو ثلاثة أجيال[7] وهو يقدر الجيل بأربعين سنة، ومن ثمَّ يكون عمر الدولة مائة وعشرين سنة في المتوسط، إلا إن عرض لها عارض آخر فمسألة أعمار الدول هي، في ظاهرها وباطنها وفى عرضها وجوهرها, فرضية قرآنية إستَمَدَّها ابن خلدون من القرآن الكريم الذي كان يحفظه ويفقهه ويعي أحكامه[8].

لقد احتلَّ اهتمام ابن خلدون بالعناصر الزمنية الثلاثة، الحاضر والماضي، والمستقبل، مكانًا مهمًا في فكره، حيث لم يصدر أي أحكام أو تقييمات تاريخية أو

(1) مصطفى الشكعة، *الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته*، ص73.
(2) سورة: فاطر الآيتان (16- 17).
(3) *المقدّمة*، 436/1.
(4) سورة: الأحقاف الآية (15).
(5) *المقدّمة*، 487/3.
(6) سورة: المزمل الآية (20).
(7) ابن خلدون، *المقدّمة*، ص170.
(8) *المقدّمة*، ص171.

اجتماعية إلا إذا كانت هذه العناصر واضحة، وتجاوز بعمقه الفكري ووجهة نظره العلمية حدود زمانه وعصره.

- قوله تعالى: ﴿**أعطى كل شيئ خلقة ثم هدى**﴾[1] استشهد بالآية على ضرورة الاجتماع الإنساني[2]. يَعدّ ابن خلدون اجتماع الناس من ضروريات بقائهم، حيث يقول: (إن الاجتماع الإنساني ضروري)[3] ومردّ هذا- على ما قرره- إلى ما فطر الله عليه الإنسان من تطلب حاجات لا تندفع إلا بغيره ويكون بها بقاؤه، فوجود الحاجات سبب في اجتماع الناس، وهو المراد بالعمران الذي هو أساس المدنية. ولما كان اجتماع الناس ضروريا، وتطلب الحاجات من عوامل بقائهم، فقد حصل لهم لأجل ذلك قدر من التدافع والتزاحم بما تقتضيه جبلتهم، إذ فُطرت النفوس على المشاحَّة. ومرد هذا إلى ما أُودعَ فيها من الظلم والجهل، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[4]. ومن هاتين الصفتين انحدرت جميع الصفات المفضية إلى اختلاف الناس وتدافعهم، وظلم بعضهم بعضا. ولما كانت طباعهم متساوية وقدراتهم متقاربة، كان من الضروري الترفع عن فردية الدفع، لما تفضي إليه من فناء العنصر البشري فكان لا بد لهم بمقتضى السياسة ونزعة الفكر من تقديم أحدهم تكون له الغلبة والسلطان فيمنع به العدوان ويحصل به الأمان، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى**﴾[5].

وقال المفسرون إنّ المعنى هو: "الذي أعطى كل مخلوق من مخلوقاته، وكل شيء من الأشياء الصورة التي تلائمه، والهيئة التي تتحقق معها منفعته ومصلحته، ثم هداه إلى وظيفته التي خلقه من أجلها وأمدّه بالوسائل والملكات التي تحقق هذه الوظيفة"[6].

---

(1) سورة طه الآية (50).
(2) *تاريخ ابن خلدون*، 423/1.
(3) المصدر نفسه، 53/1.
(4) سورة الأحزاب الآية (72).
(5) سورة طه الآية (50).
(6) محمد طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1)، 113/9.

- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1] استدلّ ابن خلدون بهذه الآية على "أن البيت والشرف للموالي إنما هو بمواليهم، لا بأنسابهم"[2]. يقول ابن خلدون: إن شرف وبيت الموالي وأهل الاصطناع هو في مواليهم وليس في أنسابهم، فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم، وإذا تعددت الآباء له في هذه العصبية فيكون دونهم على أي حال.

ورد في سبب نزول هذه الآية روايات، منها: أن الرسول ﷺ أمر بنى بياضة أن يزوجوا امرأة منهم لأبي هند، وكان حجّامًا للنبي ﷺ: فقالوا: يا رسول الله، نزوج بناتنا موالينا؟ أي: عبيدنا فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ والآية تعليل لما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر بالأنساب أي: "إن أرفعكم منزلة عند الله وأعلاكم عنده درجة هو أكثركم تقوى وخشية منه، فإن أردتم الفخر ففاخروا بالتقوى وبالعمل الصالح"[3].

وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[4] استدلّ ابن خلدون بالآية على نظريته القائلة بأن الأمة التي تكون وحشية يكون ملكها أوسع[5].

أما ما ذهب إليه المفسرون هو: أنَّ هذا الدين سينتشر في مشارق الدنيا ومغاربها ﴿**وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ أي: ولو كره ذلك الكافرون المجرمون، فإنَّ الله سيعز شأن هذا الدين رغم أنف الكافرين قال البيضاوي: كان كفار مكة يكرهون هذا الدين الحق، من أجل توغلهم في الشرك والضلال، فكان المناسب إذلالهم وإرغامهم بإظهار ما يكرهونه من الحق، وليس المراد من إظهاره ألا يبقى في العالم من يكفر بهذا الدين، بل المرادُ أن يكون أهلهُ عالين غالبين على سائر أهل الأديان بالحجة والبرهان والسيف واللسان، إلى آخر الزمان. ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ**

(1) سورة الحجرات الآية (13).
(2) *تاريخ ابن خلدون*، 433/2.
(3) ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، 141/4، *تفسير الطنطاوي*، 318/13.
(4) سورة الصف الآية (9).
(5) *تاريخ ابن خلدون*، 448/2.

الْحَقِّ﴾ أي هو جلَّ وعلا بقدرته وحكمته بعث رسوله محمداً ﷺ بالقرآن الواضح، والدين الساطع ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ الإظهار بمعنى الإعلاء والغلبة بالحجة والبرهان، والسيادة والسلطان، أي ليعليه على سائر الأديان المخالفة له، من يهودية ونصرانية وغيرهما ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ أي ولو كره ذلك أعداءُ الله المشركون بالله غيره، فإن كراهيتهم لا أثر لها في ظهوره، وفي إعلائه على جميع الأديان[1] . قال أبو السعود: "ولقد أنجز الله وعده بإعزاز دين الإسلام حيث جعله بحيث لم يبق دينٌ من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام"[2].

قوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ**﴾[3] استشهد ابن خلدون بالآية على أن غاية العصبيّة هي المُلك[4].

يرى ابن خلدون أن العصبية تكمن في الحماية والدفاع والمطالب, وكل أمر يجتمعون عليه, وأن الآدميين بطبيعتهم الإنسانية بحاجة، إلى وازع وسُلطان عند كل إجتِماع حتى يزَعُ بعضهم عن بعض لذلك يجب عليه أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية, وأن التغلُّب هذا هو المُلك, وهو أمر زائد على الرئاسة؛ وسبب ذلك أن الرئاسة رِفْعَة ومالِكها مَتْبُوعًا, ولا يكون له عليهم قهر بأحكامه, أمَّا المُلكُ هو الحكم والتغلب في القهر, ومالِك العصبيّة عندما يَبْلُغُ رتبةٍ, يطلب التي أعلى منها, وإذا أَدرَكَ مَرْتَبَة السُؤْدَد, والإتباع, وطريقة للتغلب, والقهر؛ فلن يتركها؛ لأنها مطلوبة للنفس, ولا يتمّ الْإِقْتِدَار عليه, إلا في العصبيّة التي يكون مَتبُوعًا بها. لأن التغلب المُلكي هو غاية العصبيّة, وعلاوة على ذلك فإن القبيلة الواحدة حتى لو كانت مقسمة إلى عشائر متعددة يجب أن يكون لديها عصبية أقوى منهم جميعاً, وأيضاً تلتحم مع باقي العصبيات؛ لاسيّما عندما يكون الارتباط وثيقًا بين أفراد الجماعة (القبيلة), حِنَئِذٍ سوف تكون العصبيّة, متماسكة وكبرى؛ فلا يحصل فِماَ بَيْنَهُمْ تَنَازُعٌ, ولا إختلاف,

(1) *تفسير ابن كثير*، 138/8، *تفسير طنطاوي* 362/14.
(2) الصابوني، *صفوة التفاسير*، 352/3.
(3) سورة البقرة الآية (251).
(4) *تاريخ ابن خلدون*، 440/2- 917/6.

ولا تفرق مفضي. قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾[1].

ثمّ إذا حصلت الغلبَة في تلك العصبيّة على طائِفتها, أَرادَت بطبيعتها الإنتصار على عُصبة أخرى بَعيِدة عنها, وهذا رأي ابن خلدون, وأستخلاصًا لما سبق, أن المُلك هو غاية العصبيّة التي تجري إليها؛ لا سيّما عندما تبلغ غايتها يحصل المُلك لأصحابها, أَمَا في المظاهرة أو الإستبداد؛ لأن العصبية حينما تكون شَدِيدة وأهلها كُثُر, يكون أمدَّ الدولة أطول, وأقوى, ومُلكها أنمَى. بينما قال المفسرون: "لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب؛ لأن أهل الفساد إذا ترُكوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد في الأرض، أي: امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض"[2].

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ**﴾[3] استشهد بالآية على أن دَلاَلَة المُلك هو المنافسة في الخِصالُ الحسنة وبالعكس[4].

أما ما ذهب إليه المفسرون فهو أن سنة الله سبحانه وتعالى اقتضت ألا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى معصية، ومن جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد. وإذا أراد الله تعالى بقوم سوءا من عذاب أو هلاك أو ما يشبههما بسبب إيثارهم الغي على الرشد، فلا رادّ لقضائه ولا دافع لعذابه[5].

قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[6] استشهد بالآية في حديثه عن تأثير الهواء على ألوان البشر

(1) *تاريخ ابن خلدون*، 440/2- 917/6.
(2) الحجازي، محمد محمود، *التفسير الواضح*، 160/1، *تفسير طنطاوي*،574/1.
(3) سورة الرعد الآية (11).
(4) *تاريخ ابن خلدون*، 447/2.
(5) *تفسير طنطاوي*، 453/7.
(6) سورة آل عمران الآية (110).

والكثير من أحوالهم[1]. برَّر ابن خلدون سبب تمركز الأديان السماويّة في المناطق المعتدلة التي تمتد بين جزيرة العرب, وهلال الخصيب ومصر, بقوله: "فالإقليم الرابع الذي تنتمي إليه هذه المنطقة أعدل العمران، والذي بمحاذاته من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال...وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجسامًا وألوانًا وأخلاقًا وأديانًا"[2].

أما معنى الآية، كما جاء عند المفسرين, فيقول ابن كثير: "الصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة -كل قرن بحسبه- وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم. والمعنى: وجدتم يا معشر المسلمين العاملين بتعاليم الإسلام وآدابه وسنته وشريعته خير أمة أخرجت وأظهرت للناس، من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق كلمة الباطل، ونشر الإصلاح والنفع في الأرض؛ لأنكم تأمرون بالمعروف، أي بالقول أو الفعل الجميل المستحسن في الشرائع والعقول ﴿**وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ أي: عن كل قول أو فعل قبيح تستنكره الشرائع ويأباه أهل الإيمان القويم، والعقل السليم"[3].

قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ**﴾[4] استشهد ابن خلدون بهذه الآية على أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية[5]. وجاء في تفسير الآية: "قال إخوة يوسف لأبيهم محاولين إدخال الطمأنينة على قلبه، وإزالة الحزن والخوف عن نفسه: يا أبانا والله لئن أكل الذئب يوسف وهو معنا، ونحن عصابة من الرجال الأقوياء الحريصين على سلامته إنا إذاً في هذه الحالة لخاسرون خسارة عظيمة، نستحق بسببها عدم الصلاح لأى شيء نافع"[6].

قوله تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ**

(1) *تاريخ ابن خلدون*، 486/1.
(2) *المقدمة*، 486/1.
(3) *تاريخ ابن خلدون*، 214/2.
(4) سورة يوسف الآية (14).
(5) *تاريخ ابن خلدون*، 422/1.
(6) الصابوني، *التفسير الواضح*، 36/2.

خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]. استشهد ابن خلدون بالآية على أن السعادة والكسب إنما يحصل غالبًا لأهل الخضوع والتملق[2]. فنراه يقسم بطانة الحاكم إلى فئتين: فئة الأولين: وهم ناشئة الدولة، وأهل السابقة الذين ينصرون الحاكم ولهم الفضل في إيصاله إلى السلطة، وأما الفئة الأخرى وهم فئة المصطنعين، فيقول عنهم ابن خلدون: قد يقع في الدول أضرابٌ في المراتب من أهل هذا الخلق, فيرتفع الكثير من أراذل القوم وينزل الكثير من العِلْية، لأن الدول عندما تبلغ النهاية من التغلب والاستيلاء ينفرد منها منبت الملك (أبناء الحاكم وأقرباؤه) في ملكهم وسلطانهم، ويئس مَن سواهم من ذلك، لأنهم صاروا في مراتب دون مرتبة الملك، وتحت يد الحاكم, وكأنهم خَول له (عبيد)، فتجد كثيراً مِن السوقة مَن يريد التقرب من الحاكم ويستعملون في ذلك التملق والخضوع لخدمة السلطان وحاشيته وأهل نسبه, حتى يترسخ قدمهم معه فيحصل لهم في ذلك حظ عظيم. ويضيف قائلًا: "ويميل (أي السلطان) إلى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون إلى دالّة ولا ترفُّع, إنما دأبهم الخضوع له, والتملق والاعتماد في غرضه متى ذهب إليه فيتسع جاههم, وتعلو منازلهم, وتنصرف إليهم الوجوه والخواطر, بما يحصل لهم من قِبل السلطان والمكانة عنده، ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم، لا يزيدهم ذلك إلا بعدا من السلطان...إلى أن تنقرض الدولة"[3].

كما يرى أن في الدولة الاستبدادية تصبح السلطة السياسية مصدراً للثروة فيقول: نجد صاحب الجاه والسلطة في شتى مجالات الحياة أكثر يسراً وحظوة وثروة, من فاقد الجاه والسلطة, والعلة في ذلك أن مالك الجاه يدنو إليه الناس في ذريعة الحاجة إلى نفوذه, فالناس معينون له بأعمالهم في كل حاجاته وأن النفوذ السياسي الذي يتمتع به الموظف الحكومي عالي الرتبة, هو الجاه, بنظر ابن خلدون, حيث وضح ذلك بقوله: "ولهذا المعنى كانت الإمارة أحد أسباب المعاش، وفاقد الجاه

(1) سورة الزخرف الآية (32).
(2) ينظر: *تاريخ ابن خلدون*، 910/6.
(3) تاريخ ابن خلدون، 910/6.

بالكلية, ولو كان صاحب مال, فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله، وعلى نسبة سعيه، وهؤلاء هم أكثر التجار"[1].

أما جماعة المتنفذين ذوي الجاه السياسي، وهم الفقهاء وأهل الدين والعبادة، إذ طالما اقترن الدين بالنفوذ السياسي الناتج عن استعانة الحكام برجال الدين لاكتساب الشرعية، فيقول فيهم: ونجد أن كثيراً من الفقهاء من أهل الدين والعبادة إن كانوا مشهورين فلهم رأي حسن فيهم، ويؤمن الجمهور بمعاملة الله في رزقهم فأخلص الناس في إعالتهم في الظروف من أحوال دنياهم, والاعتماد في مصلحتهم، والمال يسارع لهم وأصبحوا أناسًا يسيرون بدون مال مكتسب، ويشير ابن خلدون إلى أنه رأى مثل هذه الحالات في المدن والبلدات والبدو، فيقول: يجتهد الناس لهم في الزراعة والتجارة، وكل من يجلس في بيته لا يبرح عن مكانه فيكبر ماله ويعظم ربحه، ويتأثل الثروة دون أن يطلبها[2].

وقال المفسرون: بيَّن الله سبحانه وتعالى مظاهر قدرته في خلقه فقال: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا**﴾ أي: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا، ولم نترك تقسيمها لأحد منهم، ونحن الذين- بحكمتنا- تولينا تدبير أسبابها ولم نكلها إليهم لعلمنا بعجزهم وقصورهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الدنيا، هذا غنيٌّ وذاك فقير، وهذا مخدوم، وذاك خادم، وهذا قوي وذاك ضعيف، ثم ذكر سبحانه وتعالى الحكمة من هذا التفاوت في الأرزاق, فقال: ﴿**لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا**﴾ أي: "فعلنا ذلك ليكون بعضهم مسخراً لبعض في المعاش, وبذلك تنتظم الحياة، ويعم الخير بين الناس وينهض العمران، ويصل كل واحد إلى مطلبه على حسب ما قدر الله له من رزق واستعداد، ولو أنا تركنا أمر تقسيم الأرزاق إليهم لتهارجوا وتقاتلوا وعمّ الخراب في الأرض، لأن كل واحد منهم يريد أن يأخذ ما ليس من حقه؛ لأن الحرص والطمع من طبيعته"[3].

---

(1) *تاريخ ابن خلدون* ، 912/6.
(2) تاريخ ابن خلدون ، 912/6.
(3) الصابوني، *صفوة التفاسير*، 77/13.

تبين أن رأي ابن خلدون وافق ما ذهب أهل التفسير إليه, وهو أن الله أمد جميع خلقه بالطرق والوسائل التي تساعدهم في تحقق وظائفهم. ومما لا شك فيه أن الذي أوكلت الجماعة إليه أمرها ممن تفرد في خصال وملكات عالية لا تتوفر في باقي أفرادها، حتى يكون مؤهلاً لهذه الوظيفة، وهي ممارسة الحكم وقيادة الجماعة.

5.الفصل الرابع: جهود ابن خلدون في علوم القرآن

تمهيد:

يشير مصطلح علوم القرآن إلى مجموعة من الدراسات الهامة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم مثل تفسيره, وناسخه ومنسوخه, ومكيّه ومدنيّه, ومحكمه, ومتشابهه, وقراءاته. وسبب ذلك أن كلاً من هذه الأبحاث دار حوله كلام كثير، واستلزم فهمه معرفة دقيقة لضبطه وتحديده، لاسيّما وأن الكثير من الكتب المستقلة قد أُلفت فيه, "لهذا تحولت المعرفة بذلك إلى علم كما يقول ابن خلدون"[1].

1.5.المبحث الأول: موقف ابن خلدون من الأحرف السبعة

تحدث ابن خلدون في جزء من مقدمته عن علوم القرآن الكريم, وذكر خلال ذلك أن أصل هذه العلوم كلها هي شرعيات مأخوذه من الكتاب, والسنة. والقرآن الكريم، بحسب ابن خلدون، هو كلام الله المعجز المنزل على النبيﷺ المكتوب بين دفتي المصحف المنقول تواتراً المحفوظ من كل مسّ أو تحريف، وأن الصحابة رضي الله عنهم رووه عن رسول الله ﷺ بطرق "مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية أداء الحروف، وتُنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرائق معينة، تواتر نقلها أيضاً في أدائها واختصت في الانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة"[2]. والقرآن الكريم، بحسب ابن خلدون، هو ما أُوحي به إلى نبي الإسلام محمد ﷺ فتعامل معه الصحابة بطرائق مختلفة على مستوى أدائه في طريقة الحروف والكلمات. ويشير كذلك ابن خلدون إلى أن هناك سبع قراءات يُتلى بها القرآن الكريم. وأصبحت هذه القراءات السبع أصولًا للقراءة.

(1) ينظر: *المقدمة*، ص214.
(2) ينظر: المقدمة ، ص356.

2.5. المبحث الثاني: موقفه من وجود ألفاظ أعجمية في القرآن

اتفق العلماء بالإجماع على عدم وجود كلام مركب في القرآن الكريم من ألفاظ أعجمية يعطي معنى من هذا التركيب، واتفقوا أيضاً على أن في القرآن الكريم أسماء أعلام أعجمية، مثل: إسرائيل ونوح ولوط, وجبريل[1].

ذكر أبو نصر الفارابي في كتابه (الألفاظ والحروف): أن لسان قريش هو أفضل لسان وأيسره وأجوده, وأن اللسان العربي أخذ عنها من تميم وقيس وأسد, وأن هؤلاء هم أكثر من أُخذ عنهم، حيث تُركت القبائل المجاورة للأعاجم وغير العرب, فلم يؤخذ عن حضري, ولا أي من سكان البراري[2] ولو كان في القرآن الكريم أعجمي لبادر العرب بإنكاره على القرآن، فمن ينفي وجود الأعجمي في القرآن الكريم إنما يقصد الذي لا تعرفه العرب ولا تستعمله، ومن قال بوجوده فهو يقصد الذي عرفه العرب واستعملوه حتى لان وانقاد للسانهم[3].

واختلف الفقهاء حول وجود ألفاظ أعجمية في القرآن وانقسموا إلى ثلاثة آراء، فمن ذهب إلى عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم هم الجمهور, وذهب آخرون إلى وجود ألفاظ أعجمية حيث توسط طرف ثالث فتأول وجودها على أنها مشتركة بين العرب وغيرهم، وعلى أن العرب استعملوها وعرَّبوها فصارت تنسب إليهم، لا باعتبار أصلها، بل باعتبار استعمالها وتعريبها.

واختلف الفقهاء حول وجود ألفاظ أعجمية في القرآن وانقسموا إلى ثلاثة آراء، فمن ذهب إلى عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم هم الجمهور, وذهب آخرون إلى وجود ألفاظ أعجمية حيث توسط طرف ثالث فتأول وجودها على أنها مشتركة بين العرب وغيرهم، وعلى أن العرب استعملوها وعرَّبوها فصارت تنسب إليهم، لا باعتبار أصلها، بل باعتبار استعمالها وتعريبها.

(1) طاهر الجزائري، *البيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن عن طريق الإتقان*، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ص84 وما بعدها.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ص84 وما بعدها.
(3) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، *الموسوعة القرآنية المتخصصة* (مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1423هـ- 2002م)، 131/1.

والذين ذهبوا لنصرة القول الأول هم الإمامان الجليلان: "الإمام الطبري, والإمام الشافعي حيث وافقهما أبو عبيدة، وابن فارس وأكثر أهل اللغة، وهو الذي نصره وأيَّده بدر الدين الزركشي" في مصنفه "البرهان في علوم القرآن" ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**(192) **نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ**(193) **عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**(194) **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**(195)﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾[2]. قال الإمام الشافعي بعد أن ساق الآيات السابقة: فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه, فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾[4]،[5].

وانصرف "الإمام ابن عطية" إلى المقولة الثانية: "أن في القرآن بعض الألفاظ أعجمية، ووافقه بعض الفقهاء، وهو الذي نصره وأيَّده جلال الدين السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)"[6] ومن أدلتهم ما وُجد من ألفاظ أعجمية، كـ (إستبرق، وسندس) وقالوا: إن النبي ﷺ بُعث للناس كافة فلا يمتنع وجود أكثر من لغة في القرآن، بل هو أبلغ في الإعجاز، وردَّ الشافعي وغيره على هذا بالقول: بأن بعض الألفاظ عند العرب قد تكون, ولكن يخفى هذا على المفسر فيظنها أعجمية, وذلك لأن اللغة العربية أوسع اللغات, ألفاظاً ولساناً, وقال عبارته المشهورة: ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي[7] فأجابوا أنه لا مانع من أن تكون هذه الألفاظ مشتركة عند العرب وغيرهم, وهي أمر مقبول قديماً وحديثاً, كاتفاق كثير من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والقلم والقرطاس.

---

(1) سورة الشعراء الآية (192- 195).
(2) سورة الرعد الآية (37).
(3) سورة النحل الاية (103).
(4) سورة فصلت، الآية (44).
(5) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت:204ه) *الرسالة*، بتحقيق: أحمد شاكر (مصر: مكتبه الحلبي، ط:1, 1358هـ-1940م)، ص 46- 47.
(6) طاهر سليمان حمودة، *جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي* (بيروت: المكتب الإسلامي، ط:1، 1410هـ - 1989م) ، 1-193.
(7) الشافعي، *الرسالة*، ص47.

القول الثالث: يجمع بين القولين، فهو يقول: "إن وجود بعض الألفاظ الأعجمية لا يُخرجه عن كونه عربيّاً؛ لأنها قليلة، والعبرة للأكثر، كما أن من يعرف كتابة اسمه فقط لا يُخرجه عن كونه أمّيّاً، وأن هذه الألفاظ هي أعجمية في الأصل، عربية بالاستعمال والتعريب"[1].

يتبين من خلال هذه الأقوال أنه لا مجال للقدح في كتاب الله تعالى بنظير هذه الشبهة، وأنه لو باتت مجالاً للقدح في القرآن لما تركها مشركو مكة ومن جاء بعدهم، وهم أهل لسان، ولم يدَعوا مجالاً لأحدٍ للذم في النبي ﷺ وكتاب خالقه إلا قالوه.

موقفه من ألفاظ أعجمية:

قال ابن خلدون في حديثه عن التفسير: "فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلُّهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه.."[2] ويمضي قائلًا: "ثم صارت علوم اللسان صناعية: من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب، والبلاغة في التراكيب، فوُضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يُرجع فيها إلى نقل ولا كتاب، فتُنوسي ذلك وصارت تُتلقى من كتب أهل اللسان، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن، لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم"[3]

من خلال حديث ابن خلدون عن أن القرآن نزل بلغة العرب, حيث أكّد هذه العبارة أكثر من مرة, يتبين أنّه لا يؤيد القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن، ويقول في نص آخر: "والدين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب، لما أن النبي ﷺ عربي، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي، واعتُبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن بطانة الأعاجم وقال إنها (خب) أي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هُجرت بجميع ممالكها؛

(1) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:671هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي بتحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ط:2، 1384هـ - 1964م), 1/68- 69.

(2) *المقدّمة*، ص376.

(3) *المقدمة*، ص 366.

لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة"[1].

ويؤكد على أن لغة العجم مفسدة للغة العربية بقوله: "ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها...وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً، وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار، بخلاف لغة البدو من العرب فإنها كانت أعرق في العروبية"[2] إلى أن يقول: وانظر لمن تقدم له شيء من العجمةكيف يكون قاصراً في اللسان العربي، والذي سبقت له اللغة الفارسية يبقى قاصراً لا يستولي على ملكة اللسان العربي، وكذا البربري والرومي والإفرنجي، وسبب ذلك هو أن اللغات والألسن مثل الصنائع، والصنائع هي ملكات لا تزدحم، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقلَّ أن يجيد في أخرى أو يستولي فيها على الغاية[3].

3.5.المبحث الثالث: اهتمام ابن خلدون ببيان الناسخ والمنسوخ، وموقفه من النسخ في القرآن

النسخ لغة: للنسخ في اللغة ثلاثة معان:

أولًا: بمعنى (الإزالة)[4] ومن ذلك قولهم: "نسخت الشمس الظلّ، إذا أزالته أي: أذهبت الظلّ وحلّت محله، ونسخ الشيب الشباب: إذا أزال سواد الشعر وحلّ محله بياضه، فهنا الإزالة بعوض، أو ببدل، وقد تكون الإزالة من غير عوض، كقولهم: نسخت الريح الأثر، أي: أزالته ولم تحل مكانه، بل ذهبت هي أيضاً، فلم يبق ريح ولا

(1) *المقدمة*، 475/1.
(2) *المقدمة*، ص327. ت ارتاريخ
(3) ينظر: *المقدّمة*، 327/2.
(4) زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: 926هـ) *غاية الوصول في شرح لب الأصول* (مصر: دار الكتب العربية الكبرى), 152/1.

أثر"، وبمعنى الإزالة ورد قوله تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].[2].

ثانيًا: النسخ بمعنى (التحويل والنقل)[3] أي: "نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومن ذلك قولهم: نسخت الكتاب، أي: نقلت ما فيه"، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4].

ثالثًا: "النسخ بمعنى (البدل): ذكره ابن منظور عن ابن الأعرابي في لسان العرب"، فقال: "إن النسخ تبديل الشيء من الشيء، وهو غيره، والنسخ أيضاً نقل الشيء من مكان إلى مكان"[5] فهو يفرّق بين التبديل والنقل، في نقل الشيء عينه من مكان إلى آخر دون تغيير، وقد اختلف علماء اللغة في المعنى الحقيقي والمجازي للنسخ، فقال بعضهم: إن الإزالة هي المعنى الحقيقي، والمعاني الأخرى مجازية، ومنهم من عكس والخلاف يطول استقصاؤه ولا يترتب عليه أثر يذكر.

والناسخ: وهو الخطاب الذي يدل على ارتفاع الحكم الثابت في الخطاب المتقدم.
و**المنسوخ:** هو الحكم الزائل بخطاب متأخر بعد ثبوته بخطاب متقدم[6].

قال الفيروز آبادي: وأن حقيقة النسخ لغةً: هو النقل, كما يقال للكتابة نسخ، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾، وعلى هذا يكون جميع القرآن منسوخا، بمعنى أنه مكتوب، نقل من اللوح المحفوظ إلى صحف مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة كرام بررة، ولما نزل من السماء بواسطة الوحي كتبه الصحابة ونسخوه في صحفهم، ثم لما يزل ينسخ، وينقل إلى يوم القيامة[7].

---

(1) سورة البقرة الآية (106).
(2) ابن منظور، *لسان العرب*، مادّة (نسخ) 4407/6.
(3) أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ) *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (بيروت: المكتبة العلمية) ص602- 603.
(4) سورة الجاثية الآية (29).
(5) ابن منظور، *لسان العرب*، 7/ 4407.
(6) إبراهيم الجرمي، معجم *علوم القرآن* (دمشق: دار القلم ، ط:1، 1422هـ- 2001م) ، 291/1.
(7) مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي (ت: 817هـ), *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*, المحقق: محمد علي النجار (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي), 121/1.

النسخ شرعًا: اختلف المؤلفون لعلوم القرآن والأصول بتعريف النسخ, فمنهم من قال بأن النسخ هو إبطال حكم مستفاد من نص سابق بنص لاحق, ومنهم من قال: هو خطاب الشارع المانع من استمرار ماثبت من حكم شرعي سابق, وقيل: هو رفع حكم شرعي لخطاب شرعي. ولعل أولى الأقوال وأرجحها: "هو رفع الحكم الشّرعي بدليل شرعي متأخر"[1].

اصطلاحًا:

عُرّف النسخ في اصطلاح الأصوليين بتعريفات عدة، فعرفه كل من البيضاوي والإسنوي: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق شرعي أيضاً متراخ عنه[2].

- "وعرفه ابن الحاجب بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر"[3].

أما النسخ في اصطلاح المتقدمين فمعناه: "البيان[4] فيشمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتبيين المجمل ورفع الحكم بجملته، وهو ما يعرف عند المتأخرين بالنسخ"[5].

موقف ابن خلدون من النسخ في القرآن:

---

(1) محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره- كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة), (بيروت: موسسة الرسالة, ط:1، 1421هـ - 2000م) ، 186/1.

(2) البيضاوي، *منهاج الوصول إلى علم الأصول*، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد, (مطبعة السعادة، ط:1, 1951م) ص64. عبد الكريم بن علي النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن, (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً) (الرياض: مكتبة الرشد ط:1, 1420هـ- 1999م)، 527/2، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت: 772هـ) نهاية السول شرح منهاج الوصول, (لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1420هـ- 1999م)، 236/1.

(3) ابن الحاجب، *مختصر المنتهى*، مع شرح العضد، الأميرية الكبرى (مصر 1317هـ)، 185/2.

(4) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت:728هـ) *الاستقامة*، تحقيق: محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود, (المدينة المنورة, ط:1، 1403ه), 23/1، *ومجموع الفتاوى* (29/13، 272- 101/14), *وإعلام الموقعين* (35/1- 316/2).

(5) محمد بن حسين الجيزاني, *من معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة* (دار ابن الجوزي, ط:5، 1427هـ)،1/ 246، فيما يتعلق بالفرق بين التخصيص والنسخ، ص421-322.

قال ابن خلدون: "وذلك ما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها"[1] قال تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ**﴾[2], ومعرفة الناسخ والمنسوخ وإن كان عاماً للقرآن والحديث إلا أن الذي في القرآن بالنفي والإثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل، وإذا عُلم تقدُّم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ، ويقول: وكان ينزل جملاً جملًا وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع، منها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها مايتقدَّم، ومنها ما يتأخر ويكون نسخاً له، وكان النبي ﷺ هو المبين لذلك كما قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3]

فكان النبي ﷺ يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرّفه أصحابه[4].

ويرى ابن خلدون أنّ تفسير القرآن الكريم بصحيح السنّة فيه وجهان[5]:-

الوجه الأول بيان المجمل: ومنه آيات الأحكام التي فرضت بها العبادات الأربعة, وأن فرضها جاء مجملاً حيث تولت السنة النبوية، قولياً أو فعلياً أو تقريرياً، تفسيرها وبيان تفاصيلها مثلما أرادها الله تعالى.

الوجه الثاني بيان النّسخ: لا يعتمد في هذا الوجه على الرأي والاجتهاد، وإنما يعتمد على الرواية والنقل الصحيح, لأن النبي ﷺ عندما كان يفسر للصحابة رضي الله عنهم, كان يبين لهم الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم.

---

(1) *المقدّمة*، ص442.
(2) سورة البقرة الآية (106).
(3) سورة النحل الآية (14).
(4) *المقدمة*، ص442.
(5) ينظر: *المقدمة*، ص442.

4.5. المبحث الرابع: موقفه من المحكم والمتشابه.

المحكم لغة:

المحكم: المتقن، يقال: "أحكمت الشيء أحكمه إحكامًا: إذا أتقنته، فكان في غاية ما يبتغي من الحكمة، ومنه: بناء محكم، أي: متقن وثابت يبعد انهدامه"[1] وهذا أقرب الدلالات اللغوية لمعني الشرعيين للمحكم هنا.

وقيل المحكم: "هو الرد والمنع، يقال: أحكمت، أي: رددت ومنعت، وسُمي الحاكم حاكماً؛ لمنعه الظالم من الظلم، وسُمي لجام الفرس حكمة؛ لأنه يمنع الفرس من الاضطراب"[2].

المحكم اصطلاحًا:

ما أُحكم به المراد عن التبديل والنسخ والتغيير، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3].

المتشابه لغة:

من التشابه، أي: المتماثل، الملتبس بغيره، وهو مأخوذ من الشبه، أي ما بينه وبين غيره شيء مشترك لذلك يلتبس, والمتشابهات هي المشكلات، والمتشابه في

(1) محمد بن علي الفيومي، *المصباح المنير*, 145/1، *شرح الكتاب المنير*، 140/2- 141.
(2) عبد القادر بن أحمد بن محمد بدران (ت: 1346هـ) *المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل*, المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة, ط:2 1401ه)، 197/1، علاء الدين أبو الحسن بن سليمان المرداوي الدمشقي الحنبلي (ت: 885هـ) *التحبير شرح التحرير في أصول الفقه*. المحقق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني, أحمد السراح, (السعودية-الرياض: مكتبة الرشد, ط:1، 1421هـ-2000م)، 1395/3، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت: 620هـ) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. (مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط:2، 1423هـ-2002م)، 213/1.
(3) سورة البقرة الآية (148).

اللغة يدل على المشاكلة والمشاركة والمماثلة, التي تؤدي إلى الالتباس غالباً[1]. وعليه فإن القرآن الكريم كله محكم باعتباره متقناً بنظمه وأسلوبه، يمنع من دخول غيره فيه. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[2] وكله متشابه باعتبار أنه متماثل في فصاحته وبلاغته وحلاوته. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[3].

وبعضه محكم، وبعضه متشابه، باعتبار أن بعضه أحكام نصية لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا، ولا يختلط الأمر في فهمها على أحد، وبعضه أحكام تحتمل أكثر من وجه؛ لحكمة سامية، وهي التي يقع فيها الاشتباه، ويتأتى في فهمها الاختلاط والالتباس، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[4].

المتشابه اصطلاحاً: هو ما ورد من صفات اللَّه تعالى في القرآن مما يجب الإيمان به، ويحرم التعرض لتأويله وتفسيره، والتصديق بأنه لا يعلم تأويله إلا اللَّه تعالى[5]، كوصفه سبحانه بالاستواء الوارد في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[6] واليد الواردة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[7].

وأما اليدان الواردتان في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[8] والعين الواردة في قوله

---

(1) محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ) *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية) ، 411/36.
(2) سورة هود الآية (1).
(3) سورة الزمر الآية (23).
(4) سورة آل عمران الآية(7).
(5) عبد الكريم النملة, المهذب في الفقه المقارن, 508/2.
(6) سورة طه الآية(5).
(7) سورة ص الآية(75).
(8) سورة المائدة الآية(64).

تعالى: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**﴾[1] والوجه الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ**﴾[2] وغير ذلك من السمات فقد أجمع السلف على موافقتها وتمريرها على ما هي عليه، وترك تفسيرها, كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سُئل عن الاستواء المذكور في الآية السابقة: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فلا يتعرض لهذه الصفات بتأويل ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف"[3].

أما المحكم: فهو إمكانية معرفة المعنى بدلالة معينة أو بطرق أخرى من طرق المعرفة[4].

موقف ابن خلدون من المحكم والمتشابه:

عرض ابن خلدون هذا الموضوع في فصلين طويلين من مقدمته، أحدهما مثبت في جميع نسخ المقدمة وعنوانه: (علم الكلام) وقد تكلم فيه على نشأة هذا العلم وأهم مسائله، خاصة ما تعلق منها بالإيمان والإسلام، وصفات الله، وعن نشأة مدارسه وأئمتها، ومذهب كل مدرسة منها، وأهم مؤلفاتها والفصل الآخر مثبت في بعض نسخ المقدمة الخطية وعنوانه: "(كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنية والمبتدعة في الاعتقادات)" يقول ابن خلدون:[5] اعلم أنّ الله سبحانه بعث إلينا نبيّنا محمّدًا ﷺ يدعونا إلى النَّجاة والفوز بالنّعيم، وأنزل عليه الكتاب الكريم باللّسان العربيّ المبين، يخاطبنا فيه بالتكاليف المفضية بنا إلى ذلك، وكان في خلال هذا الخطاب ومن ضروراته، ذكر صفاته سبحانه وأسمائه، ليعرّفنا بذاته، وذكر الروح المتعلّقة بنا، وذكر الوحي والملائكة الوسائط بينه وبين رسله إلينا، وذكر لنا يوم البعث وإنذاراته ولم يعيّن لنا الوقت في شيء منه، وثبّت في هذا القرآن الكريم حروفًا من الهجاء مقطّعة في أوائل بعض سوره، لا سبيل لنا إلى فهم المراد بها، وسمّى هذه الأنواع كلّها من الكتاب متشابهًا،

(1) سورة القمر الآية(14).
(2) سورة الرحمن الآية(27).
(3) ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 25/3، ابن أبي العز الحنفي، *شرح العقيدة الطحاوية*، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط:4، 1391ه) ص290-291، ونقله ابن القيم في *إعلام الموقعين*،ج:4، ص246- 247.
(4) عبد الكريم النملة, المهذب في الفقه المقارن, 507/2.
(5) المقدمة، 1169/1.

وذمّ على اتباعها, فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾[1].

تكلَّم ابن خلدون في هذا الفصل على أنواع المتشابهات، خاصة الآيات والأحاديث التي يُسند فيها إلى الله تعالى صفة يدل ظاهرها على التجسيم[2] نحو قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[3] **وقوله تعالى:** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيما**﴾[4].

وأضاف ابن خلدون فصلًا آخر في بيان حقائق هذا العلم وما جرى فيه من مسائل ومن خلاف بين العلماء، ليكمل مافي الفصل السابق من نقص، ويفصل ما فيه من إجمال، ويتكون من الفصلين مؤلَّف قيم في علم التوحيد, وهو يشرح أهم مسائل هذا العلم، ويحقق في أهم نقاط الخلاف بين مدارسه وطوائفه. وهذا يدل على تمكُّن العلامة ابن خلدون من بحوثه، ووقوفه على مختلف فرقه ومذاهبه، وسعة اطّلاعه على ما كتب فيه، خاصة أنّه يذكر في آخر هذين الفصلين أن ما ذكره مجرد إيماءة إلى مسائل هذا العلم، وأنّه لو أوسع الكلام فيه لقصرت المدارك عنه. ولا يقتصر ابن خلدون في هذين الفصلين على تقرير المذاهب، بل ينتقد كل مذهب فيها نقد الخبير، ويدلي برأيه الخاص مؤيّدًا له بالحجة النقلية والبرهان العقلي.

5.5. المبحث الخامس: موقفه من أسباب النزول.

إنَّ معرفة أسباب النزول من علوم القرآن المهمة للباحث في علم تاريخ نزول القرآن الكريم؛ لما ورد فيها من أخبار كثيرة عن الصحابة الذين عايشوا النزول، والتابعين الذين سمعوا من الصحابة مباشرة عن قصة الإسلام في أيامه الأولى وما

(1) سورة: آل عمران الآية (7).
(2) *المقدّمة*، ص1169- 1197، علي عبد الواحد وافي، *عبقريات ابن خلدون*، ص157.
(3) سورة: طه الآية (5).
(4) سورة: الفتح الآية (10).

فتح الله تعالى على المؤمنين من نصر مبين، ومن أوائل ما صُنّف في هذا الموضوع كتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ)[1] قال ابن تيمية (ت: 728هـ): "ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يُعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها"[2].

السبب لغة:

السبب: "هو الحبل، وهو ما يُتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استُعير لكل شيء يُتوصل به إلى أمر من الأمور، فقيل هذا سبب هذا، وهذا مسبَّب عن هذا"[3] جاء في لسان العرب: "السبب: كل شيء يُتوصل به إلى غيره"[4] هذا المعنى اللغوي ورد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾[5]. فالمعنى: "آتاه الله من كل شيء معرفة وذريعة يُتوصل بها، فاتّبع واحدًا من تلك الأسباب"[6]. والسبب: قرابة ومودّة أي علاقة وصِلة، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾[7] تقطَّعت الأسباب بينهم وانقطعت علاقاتهم، أسباب السَّماء: أبوابها ومراقيها ونواحيها وطُرقها، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ(36) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ**﴾[8][9].

---

(1) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:468هـ) *أسباب نزول القرآن*، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان (الدمام: دار الإصلاح ، ط:2، 1412هـ-1992م) ، ص9.

(2) ينظر: المرجع السابق، 5/1، ابن تيمية، *مقدمة في اصول التفسير* (القاهرة: المطبعة السلفية, ط:3, 1397م), ص11.

(3) ينظر: أحمد الفيومي، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، 262/1.

(4) ينظر: ابن منظور، *لسان العرب*, 43/1.

(5) سورة الكهف الآية (84).

(6) ينظر: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي (ت: 817هـ) *بصائر ذوي التمييز*، المحقق: محمد النجار, (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي)، 169/3.

(7) سورة البقرة الآية (166).

(8) سورة غافر الآية (36).

(9) ينظر: أحمد مختار(ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، *معجم اللغة العربية المعاصرة* (عالم الكتب, ط:1، 1429 هـ- 2008م) ، ص1022.

السبب شرعًا: "عبارةٌ عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه"[1].

النزول لغة: "(النون والزاي واللام) كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل، ووجدت القوم على نزلاتهم، أي منازلهم، والنُّزُل: ما يهيأ للنزيل، والتنزيل: ترتيب الشيء ووضعه منزله"[2].

معنى النزول في القرآن:

لقد جاء التعبير بمادة (نزول القرآن) بتصاريف عدّة، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾[3].

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد أن لهذا اللفظ إطلاقات متعددة[4] منها:

1 – الحلول في مكان، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾[5].

2 – انحدار الشيء من علو إلى سفل، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ**﴾[6].

ولاريب أنّ كلا هذين المعنيين لا يليق إطلاقه على إنزال القرآن الكريم، ولا إنزال الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه يستلزم الجسمية والمكانية، والله منزّه عن ذلك، فلا بدّ من الصيرورة إلى المجاز، فبابه واسع وميدانه فسيح، وعليه يتم تحديد معنى (النزول القرآني) بالإعلام به، إمّا بواسطة جبريل، وإمّا بواسطة ما يدلّ عليه من ألفاظ

---

(1) محمد عميم البركتي، *التعريفات الفقهية*, (باكستان: دار الكتب العلمية، ط:1, 1407هـ-1986م)، ص110، أحمد مختار معجم *اللغة العربية المعاصرة* (1424ه-2003م) ، ص1022.

(2) ابن فارس، *مقاييس اللغة*، 417/5.

(3) سورة: الإسراء الآية (105).

(4) ينظر: عبد القادر محمد منصور، *موسوعة علوم القرآن* (حلب: دار القلم العربى، ط:1، 1422ه-2002م) ، 26/1.

(5) سورة المؤمنون الآية (29).

(6) سورة فاطر الآية (27).

حقيقية، كإنزاله على قلب النبي ﷺ ويكون بين الحقيقة والمجاز علامة لازمة وهي الإعلام بالشيء[1].

سبب النزول اصطلاحًا:

تعريف الزرقاني: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه وهذا القيد يعتبر شرطًا جوهريًا لبيان سبب النزول وتمييزه عن الآيات التي نزلت للإخبار بالوقائع الماضية[2] والمعنى: أنه حادثة وقعت عهد الرسول ﷺ أو سؤال وُجه إليه فنزلت الآية من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[3] سواء أكانت تلك الحادثة خصومة دبت، مثل الخلاف الذي حصل بين جماعة من الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود أعداء الله, حتى تنادوا: السلاح السلاح فنزلت بسببه الآيات الحكيمة في "سورة آل عمران"، من بداية قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ**﴾[4] أم باتت تلك الواقعة خطأ عظيماً ارتُكِب، مثل حادثة ذلك المخمور الذي يتأمم القوم في الصلاة وهو في أتم النشوة، ثم تلا السورة بعد الفاتحة، فقال: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكافِرُونَ**﴾ [5] ﴿**أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾، وحذف لفظ **(لا)** من **(لا أَعْبُدُ)** فنزلت الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾[6]، أم أن الحادثة تلك كانت تمنياً من التمنيات ورغبة من الرغبات، مثل موافقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي أفردها بعضهم في التأليف. ومن أمثلتها ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا**

---

(1) ينظر: عبد القادر محمد منصور، *موسوعة علوم القرآن*، ص27.

(2) ينظر: نور الدين محمد عتر، *علوم القرآن الكريم* (دمشق: مطبعة الصباح, ط:1, 1414ه-1993م), 46/1, خالد بن سليمان المزيني، *المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة*- دراسة الأسباب رواية ودراية (السعودية-الدمام: دار ابن الجوزي ط:1, 1327ه-2006م), 105/1.، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، *المحرر في علوم القرآن* (مركز الدراسات والمعلومات القرآنية: معهد الإمام الشاطبي، ط:2، 1429هـ - 2008م)، 124/1.

(3) ينظر: الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، 106/1.

(4) سورة آل عمران الآية (100).

(5) سورة الكافرون الآية (1).

(6) سورة النساء الآية (43).

الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى...﴾[1] وقلت يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب[2].

موقفه من أسباب النزول:

يقول ابن خلدون: "كان القرآن ينزل جُملاً جملا، وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع"[3] ثم يوضح فائدة هذا التدرج في النزول بقوله: قد يفضي الاعتياد في التدريج شيئا فشيئًا إلى اليسر، في القياس إلى ما قبله، لذلك كانت تنزل نجوم القرآن، وسوره، وآيُه حين كان بمكة أقصر منها وهو في المدينة. وانظر إلى ما رُوي في نزول سورة براءة في غزوة تبوك, ونزلت أكثرها أو كلها على النبي ﷺ أثناء سيره على الناقة, بعدما كان في مكة تنزل عليه البعض من السور من قصار المفَصّل في وقت، وينزل الباقي عليه في حين آخر، وبات آخر مانزل في المدينة آية الدَّين وهي ما هي بالطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة، مثل آيات الرحمن، والذاريات، والمدثر، والضحى، والفلق وأمثالها[4].

ويرى ابن خلدون أن ثمَّةَ أخطاء متمثلة في التمحيص للروايات والتدقيق فيها، وتمييز الصحيح والسقيم منها قد حصلت في مؤلفات هذا الفن-ولكنها غير مقصودة- تنم على تساهل المؤلفين وخلطهم بين مفهوم واسع ساد عند الصحابة، ومفهوم آخر ارتضاه المؤلفون بعدهم، أضف إلى ذلك شغف بعضهم في جمع كل الروايات التي تعزى لهذا الفن، وإن كانت روايات تفسيرية لبعض الصحابة وبعضها اجتهاد منهم، وما تميزت به هذه الروايات من تناقض وتقابل وتباين في رسم المشهد الواحد على أنه لم يخل مؤلف في هذا الفن من الإشارة إلى الحذر والتحرز تجاه أسباب النزول، وأن لا تؤخذ على علّاتها، بل يجب عرضها على القرآن نفسه، فما وافق القرآن أخذ به، وما عارض القرآن طرح, قال ابن خلدون: "وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المَغالط في الحكايات، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها, فضلُّوا عن الحق، وتاهوا في

(1) سورة البقرة الآية (125).
(2) ينظر: الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ص107.
(3) ابن خلدون، *المقدمة*، ص 438.
(4) ينظر *التفسير القرآني للقرآن*، 160/10.

بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب، ولا بد من ردِّها إلى الأصول وعرضها على القواعد"[1].

ولهذا أكد علماء القرآن أن علم أسباب النزول لا سبيل لمعرفته إلا بالنقل الصحيح, يقول السيوطي: "قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد، لا ضعيف ولا مقطوع"[2] ولا يكتفي بمجرد الرواية, والسماع, بل لابد من اشتراط الصحة, وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون.

(1) *مقدمة ابن خلدون*، ص 10.
(2) السيوطي، *التحبير في علم التفسير*، ص 86.

الخاتمة

النتائج:

- ابن خلدون عالم جليل ومؤرخ, ولد في تونس عام 732ه, في أسرة أدب متواضعة, تهتم بالعلم وتقدِّسه, فحفظ القرآن الكريم مُنذ صِباه، وألمّ بالقراءات السبع, وكان والده أول معلم له, فرباه تربية إسلامية, حيث ساعدته تربيته على استنباط أفكاره ونظرياته, من مَعين القرآن الكريم الذي لا ينضب.

- ساهمت الرحلات العلمية والعملية التي قام بها ابن خلدون بمختلف الدول, في صقل شخصيته العلمية حيث أطلعته على الكثير من صور الحياة الاجتماعية وأمدته بمفاهيم جديدة.

- لا يؤيد ابن خلدون وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم, وقد تأكّد ذلك من خلال حديثه عدّة مراتٍ على أن القرآن الكريم جاء بلغة العرب وعلى أساليبهم.

- تطرق العلامة ابن خلدون إلى أغلب أبواب المجال الديني, فتحدث عن الشريعة ومصادرها وعلومها وعن مؤلفاته في جميع العلوم.

- اتضح من خلال تتبع شيوخ ابن خلدون أن لديهم مصنفات كثيرة, منها ما تم تسميته, ومنها ما لم يتم تسميته, كمؤلفات الزواوي التي ذكر أنها ضاعت في حادث غرق سفينة السلطان أبي الحسن ولاشك أن ابن خلدون قد تأثر بهذه المؤلفات من شيوخه الذين درس على أيديهم.

- تَوَلَّى ابن خلدون الكثير من الوظائف وتنقل بين عدد من المناصب الرفيعة, وهو شخصية إسلامية بارزة, وكان له دور كبير في تقدم الدول الإسلامية, لذلك أثنى عليه علماء عصره ومن جاء بعدهم من المنصفين, ثم استقر بمصر وتوفي عام 1406م, عن عمر يناهز الــ ست وسبعين عاماً, تاركاً وراءه علماً أصبح يدرس في جامعات عالمية كبرى.

التوصيات:

1- ابن خلدون عالم جليل وله جهد كبير في علوم الشريعة ولكن لم يأخذ حقه في وقتنا المعاصر.
2- يجب على الباحث التأكد من صحة وحيادية المصادر التي يستسقي منها علمه لأن الكثير من علماء الأمة الإسلامية تعرضوا للتشويه على مر العصور.
3- يوصي البحث طلبة العلم الشرعي بالبحث عن العلماء الذين لهم باع طويل في خدمة الشريعة الإسلامية للتعرف عليهم وإظهار ماكان مخفياً من علمهم.
4- يوصي الباحث بالإطلاع والاستفادة على كتب العلامة ابن خلدون ومؤلفاته عامة وكتاب المقدمة خاصة, فهوا كموسوعة مصغرة وذا فائدة كبيرة.
5- يوصي الباحث طلبة العلم ببذل مجهود أكبر, لاستخراج الدرر والعلوم القيمة من مؤلفات العلامة عبدالرحمن ابن خلدون.
6- ضرورة الاقتداء بأمثال هؤلاء العلماء الفضلاء أمثال ابن حلدون الذين كرّسوا حياتهم في خدمة الإسلام والعلم، فتركوا للأمم التي تليهم علماً ينتفع به.

المصادر والمراجع

- ابن أبي العز الحنفي. *شرح العقيدة الطحاوية*. بيروت: المكتب الإسلامي، ط:4، 1391ه.

- ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هـ), *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان.

- ابن الأحمر: إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، (ت:807هـ). *أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن*. المحقق: محمد رضوان الداية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1396هـ/1976م.

- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم (ت: 1346هـ) *المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:2 1401ه.

- ابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري (ت:405هـ), *معرفة علوم الحديث*، المحقق: معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:2 1397هـ - 1977م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ):

أ/ *مقدمة في أصول التفسير*، لبنان-بيروت: دار مكتبة الحياة، 1490هـ - 1980م.

ب/ *الاستقامة*، المحقق:محمد رشاد سالم، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط:1، 1403ه.

- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدّين عثمان بن عمر بن أبي بكر, المعروف بابن الحاجب. *مختصر المنتهى الأصولي*. مع شرح العضد، مصر: المطبعة الأميرية الكبرى، ط:1, 1317ه.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: 852هـ)

أ/ *رفع الإصر عن قضاة مصر*، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط:1، 1998م.

ب/ *إنباء الغمر بأبناء العمر*، المحقق: حسن حبشي، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي, 1389ه- 1969م.

ج/ *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، الهند-حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط:2، 1392هـ- 1972م.

- ابن الخطيب، لسان الدين. (ت:776هـ) *الإحاطة في أخبار غرناطة*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1434ه.

- ابن الخطيب, لسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ). *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423ه.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ):

أ/ *التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا*، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع 1979م.

ب/ *رحلة ابن خلدون*، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطَّنجي، لبنان-بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1425هـ - 2004م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت:681هـ), *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت:450هـ), *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة*، حققه: محمد حجي وآخرون، لبنان-بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:2، 1988م.

- ابن العربي، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي (ت: 543هـ), *المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك*، علّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، ط:1، 1428هـ - 2007م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت:542هـ) *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1422ه.

- ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ), معجم *مقاييس اللغة*، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: 1399هـ - 1979م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:276هـ), *عيون الأخبار*، بيروت: دار الكتب العلمية: 1418هـ.

- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت:620هـ), *روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، مؤسسة: الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط:2، 2002م.

- ابن الملقن, سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804هـ). *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، سوريا- دمشق: دار النوادر، ط:1، 1429هـ / 2008م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي, (ت: 711هـ) *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، ط:3، 1414هـ.

- ابن النديم, أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: 428ه). *الفهرست*. بيروت: دار المعرفة, ط2, 1417ه/1997م.

- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسي بن سعد الخير الأنصاري (ت:571هـ). *القرط على الكامل*. وهي الطرر والحواشي على الكامل للمبرد.

- أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت: نحو 792هـ) *تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)*, المحقق: لجنة إحياء التراث العربي في, لبنان-بيروت: دار الآفاق الجديدة, ط:5، 1983م.

- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت:685هـ). *المقتطف من أزاهر الطرف*. القاهرة: شركة أمل، 1425هـ.

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، *البحر المحيط*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1 , 1422 هـ-2001م.

- أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت: 496هـ), *مختصر التبيين لهجاء التنزيل*، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد, 2002م.

- أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، *جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين*، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- أبو عبيد البكري (ت:487ه), *سمط اللآلي في شرح أمالي القالي*، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط:1, 1936م.

- أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (ت: 1348هـ), *نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة: (الحنفي، المالكي، الشافعي الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين*، تقديم: محمد أبو زهرة، بيروت: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1, 1411هـ-1990م.

- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت:749هـ), *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط:1، 1423هـ.

- الأدنروي، أحمد بن محمد. *طبقات المفسرين*, تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط:1، 1997م.

- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت: 772هـ), *نهاية السول شرح منهاج الوصول*، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1420هـ- 1999م.

- الأعلم الشنْتَمَري (ت:476), *شرح الحماسة*،

- الأنصاري، محمد جابر. *العروبة والإسلام في الفكر الخلدوني*.

- البسيلي، أبو العباس التونسي (ت:830هـ), *نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية- الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط:1، 2008م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل*، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، الرياض: دار طيبة، ط:4، 1997م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت: 685هـ), *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1418ه.
- البيضاوي، *منهاج الوصول إلى علم الأصول*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ط:1, 1951م،
- *تاريخ المصحف*، بحث نشر في مجلة المقتطف، أول يوليو 1933م، 8 ربيع الأول 1352ه، الجزء2 من المجلد 83.
- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت:1158هـ) *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 1996م.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:875هـ), *الجواهر الحسان في تفسير القرآن* المحقق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1418هـ.
- *جهود الإمام المباركفوري في الدراسات القرآنية من خلال كتابه تحفة الأحوذي*- شرح جامع الترمذي، عرض ودراسة.
- الجابري،محمد عابد. *العصبية والدولة*, لبنان-بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, ط:5, 1992م.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت: 816هـ) *كتاب التعريفات*، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, ط:1، 1403هـ-1983م.
- الجرمي، إبراهيم محمد. معجم *علوم القرآن*. دمشق: دار القلم، ط:1، 1422هـ/2001م.

- الجزائري، طاهر (ت:1338ه)، *التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن عن طريق الإتقان*، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة, مصر: مطبعة المنار, 1334ه-1915م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ) *غاية النهاية في طبقات القراء*, نشره أول مرة: ج. برجشتراسر، مكتبة ابن تيمية، ط:1, 1351هـ.
- جمعة، علي. *المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية*، القاهرة: دار السلام، ط:2، 1422هـ - 2001م.
- جمعة، فاطمة. *الاتجاهات الحزبية في الإسلام*، بيروت: دار الفكر اللبناني، د. ت.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ), *زاد المسير في علم التفسير*، المحقق: عبد الرزاق المهدي, بيروت: دار الكتاب العربي, ط:1, 1422ه.
- الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله (ت:478هـ) *نهاية المطلب في دراية المذهب*، حققه: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط:1، 1428هـ-2007م.
- الجيزاني، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسن. *من معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة*، دار ابن الجوزي ط:5، 1427ه.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت: 1067هـ) *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، بغداد: مكتبة المثنى 1941م.
- الحجازي، محمد محمود *لتفسير الواضح*، بيروت: دار الجيل الجديد, ط:10، 1413ه.
- الحجيلي،عبد الرحمن بن محمد. *المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم*، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط:1, 1421ه.
- الحسن، محمد علي. *المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره*- كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة) بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:1, 2000م.

- حمودة، طاهر سليمان. *جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي*، بيروت– المكتب الاسلامي، ط:1، 1410هـ - 1989م.
- خالد بن سليمان المزيني، *المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة*- دراسة الأسباب رواية ودراية، المملكة العربية السعودية-الدمام، دار ابن الجوزي، ط:1، 2006م.
- *خزانة التراث*، فهرس مخطوطات، يشتمل على معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية.
- خليل،عماد الدين. *ابن خلدون إسلاميًا*، المكتب الإسلامي، ط:1، 1403ه- 1983م.
- الخميس، محمد بن عبد الرحمن. *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة*، المملكة العربية السعودية: دار الصميعي.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت:444هـ) *التيسير في القراءات السبع*، المحقق: أوتو تريزل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط:2 1404هـ- 1984م.
- دروزة محمد عزت، *التفسير الحديث*، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، طبعة: 1383ه.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) *تذكرة الحفاظ*، لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1419هـ- 1998م.
- الذهبي، محمد حسين *التفسير والمفسرون*، مصر: دار الكتب الحديثة، ط:2، 1976م.
- الرافعي، مصطفى صادق (ت: 1356هـ), *تاريخ آداب العرب*، دار الكتاب العربي.
- الرملي، شهاب الدين شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة (ت: 1004هـ) *نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج*، بيروت: دار الفكر.
- الزَّبيدي الملقّب بمرتضى، ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: 1205هـ) *تاج العروس من جواهر القاموس*، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، دمشق: دار الفكر المعاصر ط:2، 1418ه.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (1367ه) *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:2.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت:1396هـ) *الأعلام*، دار العلم للملايين، ط:15- أيار / مايو 2002م، بيروت: دار الكتاب العربي، ط:1- 1422هـ
- زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، (ت:926هـ) *غاية الوصول في شرح لب الأصول*، مصر: دار الكتب العربية الكبرى.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي *معجم الشيوخ*، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: بشار عواد، رائد يوسف العنبكي، مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط:1 2004م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت: 902هـ) *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي- الجزء الأول في علوم القرآن والحديث، نقله الى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى، وسعيد عبد الرحيم، ادارة الثقافة والنشر بالجامعة: 1411ه- 1991م.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين (ت:911هـ).
أ/ *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر 1416هـ 1996م.
ب/ *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:1، 1387هـ - 1967م.
- الشاطبي, إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت:790هـ). *الموافقات في أصول الشريعة*. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط:1، 1417هـ/ 1997م.

- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت:204هـ) *الرسالة*، المحقق: أحمد شاكر، مصر: مكتبه الحلبي، ط:1 1358هـ/1940م.
- الشكعة، مصطفى. *الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته*، الدار المصرية اللبنانية، ط:1, 1406ه- 1986م.
- شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: 765هـ) *نيل تذكرة الحفاظ*، دار الكتب العلمية ط:1، 1419هـ-1998م.
- شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: 1167هـ) *ديوان الإسلام*، المحقق: كسروي حسن، لبنان-بيروت, دار الكتب العلمية، ط:1، 1411هـ - 1990م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، المكتبة التوفيقية.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت:1250هـ), *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، بيروت: دار المعرفة.
- الصابوني، محمد علي *صفوة التفاسير*، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 1417هـ 1997م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ) *الوافي بالوفيات*، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث, 1420هـ-2000م، ط أخيرة - 1404هـ-1984م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب. *المعجم الكبير*، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي, الموصل: مكتبة العلوم والحكم, 1404 – 1983م.
- طنطاوي، محمد سيد. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، القاهرة- الفجالة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1.

- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح (ت:1089هـ), *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق-بيروت: دار ابن كثير, ط:1 1406هـ - 1986م.
- عتر، نور الدين محمد *علوم القرآن الكريم*، دمشق: مطبعة الصباح، ط:1, 1414هـ - 1993م.
- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، *طرح التثريب في شرح التقريب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- عطية، قابل نصر، *غاية المريد في علم التجويد*، القاهرة.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت:1424هـ), بمساعدة فريق عمل، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، عالم الكتب، ط:1، 1429هـ - 2008م.
- عويس،عبد الحليم. *التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، الدوحة*، منشورات كتاب الأمة, ط:1, 1996م.
- فانديك، إدوارد كرنيليوس (ت:1313هـ), *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع*، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي البيلاوي، مصر: مطبعة التأليف (الهلال)، عام النشر: 1313هـ - 1896م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)
أ/ *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، لبنان-بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ط:2، 1426هـ 2005م.
ب/ *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، المحقق: محمد علي النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (ت:770هـ), *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، بيروت: المكتبة العلمية.

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت:1332هـ), *محاسن التأويل*، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميه، ط:1، 1418هـ.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين (ت:671هـ) *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط:2 1964م.

- القطان، مناع بن خليل (ت:1420هـ) :

أ/ *تاريخ التشريع الإسلامي*، مكتبة وهبة، ط:5، 1422هـ-2001م.

ب/ *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:3، 1421هـ-2000م.

- الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، (ت: 1382هـ) *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 2، 1982م.

- كحالة، عمر بن رضا (ت: 1408هـ) *معجم المؤلفين*، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- كردي، علي إبراهيم *ابن رُشيد الفهري السّبتي ورحلته ملء* العيبة.

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. *الكليات*، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة, 1419هـ.

- الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود، (ت:333هـ), *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)* المحقق: مجدي باسلوم, لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1426هـ - 2005م.

- المجددي البركتي، محمد عميم الإحسان *التعريفات الفقهية*، باكستان: دار الكتب العلمية، 1407هـ 1986م، ط:1، 1424هـ - 2003م.

- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، *الموسوعة القرآنية المتخصصة*، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،: 1423هـ - 2002م.

- محمد الخضر، *حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية*، محاضرة ألقاها في الحفلة التي أقامتها جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية مساء الجمعة 5صفر 1343ه.

- محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (ت: 1376هـ), *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي*، لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1- 1416هـ- 1995م.

- محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت:488هـ), *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر, 1966م.

- محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، *لمحات في المكتبة والبحث والمصادر*، مؤسسة الرسالة ط:19، 1422هـ - 2001م.

- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي (ت: 1360هـ), *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، علق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان: دار الكتب العلمية، ط:1، 1424هـ - 2003م.

- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت:1371هـ), *تفسير المراغي*، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:1، 1946م.

- المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الدمشقي الحنبلي (ت: 885هـ) *التحبير شرح التحرير في أصول الفقه*، المحقق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني أحمد السراح، السعودية- الرياض: مكتبة الرشد, ط:1، 1421هـ - 2000م.

- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران. (ت:384 هـ), *معجم الشعراء*، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، لبنان-بيروت: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط:2، 1982م.

- مرسي، محمد منير. *التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية*، القاهرة: عالم الكتب, ط:1, 1425هـ/ 2005م.

- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، *المحرر في علوم القرآن*، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط:2، 1429هـ - 2008م.

- مسلم، مصطفى *مناهج المفسرين- القسم الأول: التفسير في عصر الصحابة*، دار المسلم للنشر 1415ه، ج:1، ط:1.
- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن الأزدي البلخي (ت:150هـ), *تفسير مقاتل بن سليمان*، المحقق: عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، ط:1، 1423ه.
- المقري التلمساني، أحمد ، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق: إحسان عباس، لبنان-بيروت: دار صادر، ط:1, 1038ه-1929م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، (ت: 845هـ)
أ/ *السلوك لمعرفة دول الملوك* المحقق: محمد عبد القادر عطا، لبنان-بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1418هـ - 1997م.
ب/ *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*, بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1418هـ.
- منصور، عبد القادر محمد، *موسوعة علوم القرآن*، حلب: دار القلم العربي، ط:1، 1422هـ 2002م.
- *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي*، نقلًا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.
- النبهان، محمد فاروق:
أ/ *الفكر الخلدوني من خلال المقدمة*, حلب: دار عالم القرآن, ط:1, 1426ه-2005م.
ب/ *المدخل إلى علوم القرآن الكريم*, حلب: دار عالم القرآن, ط:1, 1426ه-2005م.
- النملة،عبد الكريم بن علي بن محمد *المهذب في علم أصول الفقه المقارن*- تحريرٌ لمسائِله ودراستها (دراسةً نظرية تطبيقية) الرياض: مكتبة الرشد، ط:1, 1420هـ - 1999م.
- هاني محمد أبو شنب, *ابن خلدون فقيهاً* , نابلس: جامعة النجاح الوطنية, 2012م.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ), *أسباب نزول القرآن*، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط:2، 1412هـ- 1992م.

- الواد صليحة ومختاري جهيدة, *مصادر ابن خلدون في المقدمة علوم القرآن والحديث أنموذجاً* 1435ه-2014م.

- وافي، علي عبد الواحد *عبقريات ابن خلدون*، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط:1، 1404ه- 1984م.

- يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت: 1351هـ) *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928م.

- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ), *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	**عمر زيدان خلف**
Doğum Yeri	
Doğum Tarihi	

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**جامعة الأنبار**
Fakülte	**كلية التربية للعلوم الإنسانية**
Bölüm	**علوم القرآن**

YÜKSEK LİSANS EĞİTİMİ

Üniversite	**جانكري كَراتكين**
Enstitü	**معهد العلوم الاجتماعية**
Anabilim Dalı	**علوم القرآن**

İLETİŞİM

Adres	
E-mail	